

عبد العزيز الشناوي

دار الفكر العربي



« لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً غَيْرَ رَبِّى لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ »

حديث نبوى شريف

عبد العزيز الشناوى

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى
الادارة : ١١ ش جواد حسنى ـ القاهرة
ص ب ١٣٠ ت ٣٩٢٥٠٢٣



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد بن عبد الله الصادق الامين ، ورضى الله تبارك وتعالى عن آله وصحابته أجمعـــــين ...

وبعـــــد ...

فتلك مواقف من حياة الصـــديق أبى بكر رضى الله عنه ، وما أدراك من أبو بكر ؟

لقبـــوه فى الجاهلية بـــ « الصـــديق » لمـا عرف به من الصـــدق ، وفى الإسلام أكـــد رسول الله صلى الله عليه وسلم هـــذا اللقب ، لمبـــادرته إلى تصـــديقه عليه الصلاة والسلام فيما أخبر به صبيحة الإسراء والمعراج ...

ثم ...

نترك الصفحات بين يدى القارىء العزيز ، يتجول معها فى سياحة حرة مع الوزير الاول للنبى الكريم صلى الله عليه وسلم .. معتقدين أن فى تلك المواقف شعاعا من ضياء النبوة ، نقـــدمه إلى أجيالنا المعاصرة ... ذكرى ، والذكرى تنفع المؤمنين ..

الناشر

صـــداقة قبـــل الرســـالة

كانت أم القرى ، البلد الحرام ، الذى ، تتوسطه الكعبة ، موطن المقدسات منذ أن رفـــع الخليل إبراهيم القواعـــد من البيت وابنه إسماعيل •• ثم جلبت إليها الاصنام ، وازدحمت حولها مـــع الايام ، حتى صارت مهوى أفئدة قريش وما حـــولها •

ومنذ أن أصبح عبد الله بن أبى قحافـــة غلاما وهبته أمه للكعبة ، فعاش بين أكثر من ثلاثمائة وستين صنما • وبدلا من أن يخشاها ويسجد لهـــا ويقـــدم اليها القرابين رفع راية التمرد والعصيان فلم يسجد لها قط ، لقـــد طلب منها أن تطعمه فارتطمت كلماته المتوسلة الجائعة بآذان صماء حجرية ، وسألها أن تكسوه فلم تجبه وأدرك أنها عارية وفى حاجة إلى كساء ، وعلم أنها لا تستطيع أن تدفـــع عن نفسها أذى ولا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا ، فكيف تمنح عابديها الخير وتمنع عنهم الشر ؟ وسخر بمن يعظمونها ، واستهزأ بمن يسجد لها •

ولحكمة سامية يعلمها الله عز وجل ، ولأمر جلل أراده الله ، نشأت قبل النبوة رابطة وثيقـــة من الصداقة بين عبد الله بن أبى قحافة ومحمد بن عبد الله فكانا صـــديقين متلازمين لا يفترقان إلا لعمل أو سفر •

وآمن أبو بكر برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة (علم أنه النبى المنتظر) ، لقـــد أخبره بذلك بحيرى الراهب ، وسمعه من شيخ عالم من الأزد قـــد قرأ الكتب ، (نزل به فى اليمن) فقال لأبى بكر :

ــ أحسبك حرميا (من مكة) •

فقال أبو بكر : نعم •

قال الرجـــل : أحسبك قرشيا •

قال أبو بكر : نعم •

قال الرجـــل الأزدى : أحسبك تيميا •

قال أبو بكر : نعم •

فقال الأزدى : بقيت لى فيك واحـــدة •

فتساءل أبو بكر : وما هى ؟

قال الأزدى : تكشف لى عن بطنـــك •

فقال أبو بكر : لا أفعل أو تخبرنى لم ذلك ؟

قال الأزدي :

— أجــد في العلم النجيح الصادق ، أن نبيا يبعث في الحرم ، يعاون على أمره فتى وكهل ، فأما الفتى فخواض غمرات ودفاع معضلات ، وأما الكهل فأبيض نحيف ، على بطنه شامة ، وعلى فخــذه اليسرى علامة ، وما عليك أن تريني ما سألتك فقد تكاملت فيك الصفة .

يقول أبو بكر : فكشفت له عن بطني ، فرأى شامة بيضاء أو سوداء فوق سرتي ، ورأى العلامة على الفخــذ الأيسر .

فقال : أنت هــو ورب الكعبة .

يقول أبو بكر : فلما قضيت أربي(١) من اليمن أتيته لأودعه ، فقال : أحافظ عني أبياتا من الشعر قلتها في ذلك النبي ؟

قلت : نعم فذكر لي أبياتا .

يقول أبو بكر :

— فقــدمت مكة وقــد بعث النبي عليه الصلاة والسلام ، فجاءني صناديد قريش كعقبة بن أبي معيط وشيبة بن ربيعة ، وأبي جهل وأبي البختري فقالوا : يا أبا بكر ، يتيم أبي طالب يزعم أنه نبي ، ولــولا انتظارك ما انتظرنا به . فاذا قــد جئت فأنت الغاية والكفاية .

يقول أبو بكر :

— فصرفتهم على أحسن شيء ثم جئته صلى الله عليه وسلم فقرعت(٢) عليه الباب فخرج إلي وقال لي : يا أبا بكر إني رسول الله إليك وإلى الناس كلهم ، فآمنْ بالله . فقلت : وما دليــلك على ذلك ؟ قال : الشيخ الذي أفــادك الأبيات . فقلت : ومن أخبرك بهــذا يا حبيبي ؟ قال : الملك العظيم الذي يأتي الأنبياء قبلي ، قلت : مد يدك فأنا أشهد أن لا إلــه إلا الله وأنك رســول الله .

يقول أبو بكر :

— فانصرفت وما بين لابتيها(٣) (يعني مكة) أشد سرورا من رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامي .

---

(١) الأرب : الأمل .

(٢) قرع الباب : طرقــه .

(٣) لابتيها : الجبلان اللذان يحيطان بمكة .

وكان أول من أظهر إسلامه بعد رسول الله صلى الله عيه وسلم ، وأنفق أبو بكر ماله فى سبيل الله .

يقول عمر بن الخطاب :

– ما استبقنا إلى شيء من الخير إلا سبقنا أبو بكر .

وكان بمكان الوزير من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان يشاوره فى أموره كلها ، وكان أحب أصحابه إليه .

وكان صلى الله عليه وسلم يقول :

– إن من آمن الناس علىّ(٤) فى صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوة الاسلام ومودته ، لايبقين باب إلا سُدّ (سدت جميع الأبواب التى كانت مفتوحة فى مسجده صلى الله عليه وسلم) إلا باب أبى بكر .

يقول المقدام :

– استبّ(٥) عقيل بن أبى طالب وأبو بكر (كان أبو بكر نسابا) غير أنه تحرج من قرابته من النبى عليه الصلاة والسلام ، فأعرض عنه وشكا إلى النبى عليه الصلاة والسلام ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس فقال : ألا تدَعون لى صاحبى ؟ ما شأنكم وما شأنه ، فوالله ما منكم رجل إلا على باب بيته ظلمة إلا باب أبى بكر ، فإن على بابه النور . فوالله لقد قلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدقت ، وأمسكتم الأموال وجاد لى بماله ، وخذلتمونى وواسانى واتبعنى .

ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعه المسلمون خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد صلى بهم أثناء مرض النبى عليه الصلاة والسلام ، وقدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج بالمسلمين فى العام التاسع من الهجرة .

---

(٤) آمن : أكثر منا ..
(٥) استب .. تخاصم ..

أسـمه ولقبـه

عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ، القرشى التيمى ، يلتقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مُرّة • ولقب عتيقا لعتقه من النار ، وقيل لجمـال وجهه ، وقيل لعتاقة نسبه ، أى طهارته إذ لم يكن فى نسبه شىء يعاب به •

سأل القاسم بن محمد بن أبى بكر أم المؤمنين عائشة عن اسم أبى بكر (جـدّه) فقالت :

ـ عبـد الله •

فقال القاسم بن محمد : إن الناس يقولون : عتيق ••

قالت عائشة :

ـ إن أبا قحافة كان له ثلاثة أولاد سماهم : عتيقا ومعتقا ومعيتيقا •

وسأل موسى بن أبى طلحة أباه : لم سمى أبو بكر عتيقا ؟

قال أبو طلحه :

ـ كانت أمه لا يعيش لهـا ولد ، فلما ولدته استقبلت به البيت الحرام ثم قالت : اللهم إن هـذا عتيق من الموت فهبه لى •

ولقب بالصديق (كان يلقب به فى الجاهلية) لمـا عرف منه من الصدق • وقيل لمبادرته إلى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان يخبره (أول ما اشتهر به صبيحة الإسراء) •

يقول أبو هريرة :

ـ لمـا رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به فكان بذى طوى(٦) قال : يا جبريل إن قومى لا يصدقوننى قال : يصدقك أبو بكر وهو الصديق •

مولـده ومنشـؤه

ولد أبو بكر الصـديق بعـد مولد النبى عليه الصلاة والسلام بسنتين وأشهر • وكان منشؤه بمكة لا يخرج منها إلا للتجارة ، وكان ذا مال جزيل فى

---

(٦) ذو طوى : مكان قرب مكة .

بنى تيم ، ومروءة تامة ، وإحسان وتفضل فيهم ، وكان من رؤساء قريش فى الجاهلية ، وأهل مشاورتهم ومحببا فيهم ، وأعلمهم لمعالمهم ، فكان نسابا وكان إليه أمر الديات والغرم .. فلما جاء الإسلام كان أبو بكر أحد عشرة من قريش اتصل بهم شرف الجاهلية والإسلام .

كان عبد الله بن أبى قحافة أعف الناس فى الجاهلية . تقول أم المؤمنين عائشة :

– والله ما قال أبو بكر شعرا قط فى جاهلية ولا إسلام ، وقد ترك هو وعثمان (عثمان بن مظعون) شرب الخمر فى الجاهلية .

وتقول عائشة :

– لقد حرم أبو بكر الخمر على نفسه فى الجاهلية .

جلس أبو بكر يوما فى مجمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له :

– هل شربت الخمر فى الجاهلية ؟

قال أبو بكر الصديق : أعوذ بالله ..
فقيل له : ولم ؟

قال أبو بكر الصديق :
– كنت أصون عرضى ، وأحفظ مروءتى ؛ فإن من شرب الخمر كان مضيعا فى عرضه ومروءته .

فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

– صدق أبو بكر . صدق أبو بكر (قالها مرتين) .

إســـلامه

كانت الأصنام مبثوثة حول الكعبة ، وكانت مهوى أفئدة قريش وما حولها من القبائل ؛ يتملقونها ويعبدونها لتقربهم إلى الله زلفى . وكان لكل قبيلة صنمها وإلهها . وكان كل طفل يولد ثم يخطو يصحبونه إلى إلهه ليعرفه . ثم يسعى إليه ليسجد له ، ويتضرع إليه ويبثه أمنه ونجواه .

وكانت أم الخير سلمى (ليلى) بنت صخر امرأة أبى قحافة لا يعيش لهـا ولد ، فلما ولدت عبد الله استقبلت به البيت الحرام ، وقالت : اللهم إن هـذا عتيقك من الموت فهبه لى ..

ووهبته للآلهة ولقب بعبد الكعبة ، فنظر إلى اللات والعزى وأساف ونائلة ومناة وهبل وبقية الأصنام والأوثان فى عجب .. سألها يوما أن تطعمه فلم تجبه ، وطلب منها أن تكسوه ، فلم ترد عليه ، فقـذف هبل بحجر فلم يستطع الإله الأكبر أن يدافع عن نفسه .. وأدرك عبد الله بن أبى قحافة أنها أحجـار لا تنفع ولا تضر .

وألقى عبد الله بن أبى قحافـة سمعه للمتحـدثين عن الهـداة من الأجيال السالفة عبر السنين ، كسويد بن عامر المصطلقى الذى جهر بعقيدة البعث ويوم الجزاء . وعامر بن الظَّرِب العـدوانى الذى قال لقومه :

ـ إنى ما رأيت شيئا قط خَلق نفسه ، ولا رأيت موضوعا إلا مصنوعا ، ولا جائيا إلا ذاهبا ، ولو كان الذى يميت الناس الداء لكان الذى يحييهم الدواء .

وقرأ عن ابن ثعلب بن درة الذى عزف عن عبادة الأصنام ودعا إلى الله وحـده . والمتلمس بن أمية الكنانى الذى كان يتوسط قومه عند الكعبة ويقول لهم بأعلى صـوته :

ـ أطيعونى ترشدوا ، لقد اتخذتم آلهة شتىً وإن الله ربكم ورب ما تعبدون .

كانوا يتحـدثون : ولكن لم يكن معهم مناهج كاملة تمكنهم من أن يدعـوا النـاس إليهـا .

ورأى عبدالله بن أبى قحافة أناسا آخرين كأبى قيس بن أنس .. اعتزل قريشا وآلهتها وأصنامها وأوثانها واتخـذ له مسجدا وقال :

ـ لا يدخله طامث ولا جنب .. أعبد رب إبراهيم ..

ولقـد عاش أبو قيس بن أنس هـذا حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ونطق بشهادة الحق .

وجلس عبد الله بن أبى قحافة إلى قس بن سـاعدة ، وزيد بن عمرو بن

نفيل ، وورقة بن نوفل .. الذين وجهوا وجوههم للذى فطر السماوات والأرض ، واعتنقوا الحنيفية المؤمنة ، وكانوا على دين إبراهيم .

وجلس إليهم عبد الله بن أبى قحافــة طويلا فنهل من ينابيع حكمتهم . وأنكرت قريش مجالسة ابن أبى قحافة لهؤلاء العاكفين على أنفسهم ، الذين أوشكت حياتهم على الغروب ، فكيف لشاب فى ربيع العمر وسيد قومه وحامل الديات أن يجلس مع هــذا النفر الصالح ؟ ألم يفكر فيما يمكن أن يلحق به من ضر ؟ لم لا يعتزل الهتهم ويخرج عن الصف ويأتى بأفكار جــديدة كأفكار هؤلاء ؟ إنه لم يسجد لصنم قط .. عزف عن عبادة الأصنام منذ نعـــومة أظافره . !

ووجــد عبد الله بن أبى قحافة محمد بن عبد الله مثلا أعلى ، فهو لا يذكر الأصنام بسوء ، ولا يذكرها بخير ، ولا يسجد لهــا مع الساجدين ولا يتقرب إليها .. فكان حريصا على صحبته . والتقى منهج محمد الذى يقوم على التفكر والتأمل والاصغاء إلى الهمس الآتى من داخل الحقيقة ذاتها ، ومنهج عبد الله ابن أبى قحافة الذى يقوم على التفكر والاصغاء إلى حكمة الحكماء ومنطــق الهــداة العابدين المبصرين .

يقول أبو بكر : كنت جالسا بفناء الكعبة وكان زيد بن عمرو بن نفيل قاعدا فمر به أمية بن أبى الصلت فقال : كيف أصبحت يا باغى الخير ؟

قال : بخــير .

قال : هــل وجــدت ؟

قال : لا و لَـمْ آلُ من طلب .

فقــــال :

كل دين يوم القيــــــامة إلا ما قضى الله فى الحقيقة بور

أما إن هــذا النبى الذى ينتظر منا أو منكم ؟ قال : ولم أكن قــد سمعت قبل ذلك بنبى ينتظر أو يبعث .. فخرجت أريد ورقــة بن نوفل ، وكان كثير النظر إلى السماء كثير همهمة الصــدر ؛ فاستوقفته ثم قصصت عليه الحديث ، فقال : نعم يا ابن أخى ، أبى أهل الكتاب والعلماء إلا هــذا النبى الذى ينتظر من أوسط العرب نسبا — ولى علم بالنسب — وقومُك أوسط العرب نسبا . قلت : يا عم وما يقول النبى ؟ قال : يقول ما قيل له إلا أنه لا يظلم ولا يظالم .

وأصبح عبد الله بن أبى قحافة يفكر فى هـذا النبى الذى يجمع قريشا والعرب على الحق .. لكن من هو ؟ ورأى(٧) ابن أبى قحافة القمر ينزل إلى مكة فدخل فى كل بيت منه شعبة ثم كان جميعه فى حجره فهل هـذه الرؤيا صادقـة ؟ متى تتحقق ؟

وكان أبو بكر صـديقا لمحمد بن عبد الله يكثر غشيانه(٨) فى منزله ومحادثته ولا يفارقه سفرا ولا حضرا إلا فيما يذهب محمد شهرا كل عام (شهر رمضان) معتكفا فى غار حراء .

وذات يوم كان أبو بكر يجلس مع حكيم بن حزام فجاءت مولاة حكيم وقالت لـه :

— إن عمتك خـديجة تزعم هـذا اليوم أن زوجها نبى مرسل مثل موسى .

فلما سمع أبو بكر كلمة نبى تذكر قول زيد وأمية وورقة فخفق قلبـه .. وفرح . لقـد كان متوقعا ذلك .

ولم يستطع صبرا فاستأذن فى الانصراف وانطلق إلى بيت خـديجة بنت خـويلد ، فأتى محمدا — صلى الله عليه وسلم — فسأله :

— يا أبا القاسم ، ما الذى بلغنى عنك ؟

فقال محمد صلى الله عليه وسلم :

— وما بلغـك عنى يا أبا بكر ؟

قال أبو بكر :

— بلغنى أنك تدعـو إلى توحيد الله وزعمت أنك رسول الله .

قال النبى عليه الصلاة والسلام :

— نعم يا أبا بكر ، إن ربى جعلنى بشيرا ونذيرا ، وجعلنى دعـوة إبراهيم وأرسلنى إلى الناس جميعا .

فمـد أبو بكر يده وقال فى صـدق وبلا تردد :

— صدقت بأبى أنت وأمى ، وأهل الصدق أنت ، ما جربت عليك كذبا ، وإنك لخليق بالرسالة لعظيم أمانتك وصلتك لرحمك وحسن فعالك .. أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله .

---

(٧) رأى ذلك فى المنـام .

(٨) أى زيارته ..

فأقبلت خـديجة إليه مستبشرة وعليها خمار أحمر فقالت :
ــ الحمد لله الذى هـداك يا ابن أبى قحافة •

ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلام أبى بكر ، فما كان أحـد بين الأخشبين ، أكثر سروراً منه • وانطلق أبو بكر وقـد تألق وجهه كأن الشمس قـد اختصته آنئـذ بكل ضيائها • وقيل أن قول الحق عز وجل (والذى جاء بالصدق وصدّق به) نزل فى أبى بكر ، فالذى جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى صدق به أبو بكر •

وأخـذ أبو بكر يدعـو إلى دين الله فأسلم بدعائه : عثمان بن عفان والزبير بن العـوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله ، فقـد كانوا يحبون ويميلون إلى أبى بكر فجاء بهم إلى النبى عليه الصلاة والسلام حين استجابوا له فأسلموا وصـدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جاءه من الله عز وجل •

وكان ابن أبى قحافة أول من أسلم من الرجال وعلى بن أبى طالب أول من أسلم من الصبيان وخـديجة بنت خـويلد أول من أسلمت من النساء •

جهـــاده

كان أبو بكر بزازا[٩] ذا مال ، وكان له بمكة ضيافات لا يفعلها أحـد ، ولمـا أسلم كان معه أربعون ألف درهم جعلها فى سبيل الله • ولازم رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وبينما كان ابن أم عبد (عبد الله بن مسعود) فى غنم لآل عقبة بن أبى معيط جاءه النبى عليه الصلاة والسلام ومعه أبو بكر فقال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم :
ــ هـل عنـدك لبن ؟

قال عبد الله بن مسعود :
ــ نعم ولكنى مؤتمن ولست بساقيكما •

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :
ــ فهل عندك من شاة لم ينزِ عليها الفحل بعـد ؟

---

(٩) يتاجر فى البز وهو نوع من القماش .

قال عبد الله بن مسعود : نعم •

فأتاه بشاة شصوص(١٠) ليس لهـا ضرع • فمسح النبى عليه الصلاة والسلام مكان الضرع ودعا ربه فحفل(١١) الضرع فأتى عبد الله بن مسعود النبى عليه الصلاة والسلام بصخرة منقرة فاحتلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقى أبا بكر وسقى عبد الله بن مسعود ثم شرب • ثم قال للضرع :

ـ اقلص •••

فرجـع كمـا كان •

فلمـا كان بعـدُ أتى عبـد الله بن مسعود رسول الله صلى الله عليه وسـلم وقـال :

ـ علّمنى من هـذا القول الطيب (يعنى القرآن) •

فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن فقال عبد الله بن مسعود :

ـ أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله •••

فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسه وقال :

ـ بارك الله فيك فإنك غلام معلم •••

وذات يوم كان المسلمون فى دار الارقم يصـلون مستخفين وبعـد أن انتهوا من صلاتهم جلسوا حـول رسول الله صلى الله عليه وسلم يفقههم فى دينهم فقال أبو حـذيفة بن عتبة :

ـ ما جزاء من سمع بك ولم يتبعك ؟

فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

ـ من سمع بى من يهودى أو نصرانى ثم لم يسلم دخل النار •

فنظر أبو بكر من دار الأرقم التى تطل على الحرم ودار الندوة فوجـد قريشا فى مجالسهم حول الكعبة فقال :

ـ إننا على حـق وهم على ضلال فكيف نجلس نترقب خشية النـاس وهم آمنون فى بيت الله ؟

إلى متى سيختفى النور تاركا الدنيا للظلمات ؟

---

(١٠) شصوص : نحيلة عجفاء •

(١١) حفـل : امتـلأ ••

فقال أبو حذيفة بن عتبة ومصعب بن عمير وأبو سلمة المخزومى وسعيد ابن زيد :

ـ يا أبا بكر أتلح على الظهور ؟

قال أبو بكر : نعم ..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ إنا قليلون ..

ولكن أبا بكر أخذ يتحدث فى حماسة وصدق يزين للنبى عليه الصلاة والسلام الخروج إلى المسجد لإعلاء كلمة الله ، ولم يزل به حتى خرج صلى الله عليه وسلم ومن معه من أصحابه إلى المسجد . فقام أبو بكر خطيبا والنبى عليه الصلاة والسلام جالس . فقام سادة قريش وقالوا :

ـ يا ابن أبى قحافة أتسخر منا على أعين الناس ؟ أتسب آلهتنا وتسفه أحلامنا ؟ إنها لفتنة وإن سكتنا عليها استشرى الشر فى مكة ..

وثاروا على أبى بكر ووطئ بالأرجل وضُرب ضربا شديدا ، وصار عتبة بن ربيعة يضربه بنعلين مطبقتين ويحرفهما إلى وجهه بعنف حتى صار لا يعرف أنفه من وجهه ، فقد غرق فى دم غزير . وطار الخبر إلى بنى تيم رهط أبى بكر فجاءوا و أجلّوا عتبة بن ربيعة وأشراف قريش عن أبى بكر وحملوه فى ثوب إلى أن أدخلوه داره وهم لا يشكون فى موته . ثم رجعوا فدخلوا المسجد فقالوا :

ـ والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة ..

وعادوا إلى أبى بكر وصار أبوه أبو قحافة وبنو تيم يكلمونه فلا يجيب حتى إذا كان آخر النهار تكلم وقال :

ـ ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

ونظر أبو بكر إلى أمه متسائلا فقالت : والله مالى علم بصاحبك ..

فقال أبو بكر : اذهبى إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه ..

وخرجت أم أبى بكر إلى دار سعيد بن زيد ودخلت على فاطمة بنت الخطاب وقالت لها :

— إن أبا بكر يسأل عن محمد بن عبد الله .

فقالت فاطمة : لا أعرف محمدا ولا أبا بكر ..

فقد كانت فاطمة تخشى أن يعرف أخوها عمر بن الخطاب أمر إسلامها فيأتى ليبطش بها وبزوجها فهو لا يطيق الدين الجديد ويصب العذاب على من آمن بالله ورسوله ..

ولما اطمأنت فاطمة بنت الخطاب إلى أم أبى بكر قالت لها :

— تريدين أن أخرج معك ؟

قالت أم أبى بكر : نعم ..

فخرجت أم جميل بنت الخطاب معها إلى أن جاءت أبا بكر فوجدته بين الحياة والموت فقالت :

— إن قوما نالوا هذا منك لأهل فسق وإنى لأرجو أن ينتقم الله منهم ..

فقال لها أبو بكر : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فالتفتت فاطمة بنت الخطاب نحو أم أبى بكر وقالت : هذه أمك تسمع ..

قال أبو بكر مطمئنا : فلا عين عليك منها ...

قالت أم جميل بنت الخطاب : سالم ..

فتساءل أبو بكر : أين هو ؟

قالت فاطمة بنت الخطاب : فى دار على الصفا ..

قال أبو بكر : فى دار الأرقم بن أبى الأرقم ؟

قالت أم جميل بنت الخطاب : نعم ..

قال أبو بكر : والله لا أذوق طعاما ولا شرابا أو آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

وهم أبو بكر بالنهوض فخفت إليه أمه وقالت : فأمهلنا ..

فقام أبو بكر وصحب أمه إلى دار الأرقم بن أبى الأرقم ففرح المسلمون بمقدمه . وقال :

— بأبى وأمى أنت يا رسول الله مابى من أسى إلا ما نال الناس من وجهى ، وهذه أمى برة بولدها فعسى الله أن ينقذها بك من النار ..

فدعا لها النبى عليه الصلاة والسلام ودعاها إلى الإسلام .. فقالت فى انفعال وصدق :

— أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله .

فسعد أبو بكر بإسلام أمه أم الخير سلمى بنت صخر •

وظل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس سرا إلى الله والإسلام ثلاث سنوات • ولما أنزل العزيز الحكيم قوله **(وأنذر عشيرتك الأقربين * واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين)** فاشتد ذلك عليه وضاق به ذرعا وجلس في داره وقال :

(الآية ٢١٤ ، ٢١٥ ، سورة الشعراء)

— عرفت أنى إن بادأت بها قومى رأيت منهم ما أكره •

وأتته عماته صفية وعاتكة وأروى •• فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

— ما اشتكيت شيئا ولكن الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين •

فقلن له : فادعهم ولا تَدْعُ أبا لهب (عبد العزى بن عبد المطلب) فإنه غير مجيبك ••

وكان أبو بكر بن أبى قحافة بمكان الوزير من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشاوره فى الأمر فقال أبو بكر : يا نبى الله أنذر عشيرتك ••

ولكن النبى عليه الصلاة والسلام صمت فجاءه جبريل عليه السلام وقال :

— يا محمد إن لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك بالنار ••

فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبل الصفا فصعد عليه ثم نادى :

— يا صباحاه •••

فأقبل الناس إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله •

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

— يا بنى عبد المطلب ، يا بنى فهر ، يا بنى كعب ، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتمونى ؟

قالوا : نعم ••

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

— فإنى نذير لكم بين يَدَيْ عذاب شديد •••

فقال عمه عبد العزى بن عبد المطلب (أبو لهب) :

— تبا لك سائر اليوم ، أما دعوتنا إلا لهذا ؟

فتفـرق النـــاس .

وعاد أبو لهب إلى داره وراح يروى على امرأته أم جميل ما كان من محمد صلى الله عليه وسلم ، فأخـــذت تشاركه سخريته وهزءه ..

وأوحى الله إلى رســوله صلى الله عليه وسلم : **(تبت يدا أبى لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب * سيصلى نارا ذات لهب * وامرأته حمالة الحطب * فى جيدها حبل من مسد)** .

(سورة المسد كلها)

وذاعت سورة المسد فى مكة ، فاستفحل حقـــد وكراهية أبى لهب وزوجته أم جميل أخت أبى سفيان بن حرب ؛ وكانت رقية وأم كلثوم ابنتا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كنف ابنى عمهما أبى لهب فاستبد به الغضب وبعث فى طلب ولديه عتبة ومعتب وقال لهما :

— إن محمدا قـــد سبنى وسب أم جميل ..

وطلب منهما أن يفارقا ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

وخرجت أم جميل إلى الحرم تبحث عن النبى عليه الصلاة والسلام وفى يدها حجر . فلمـــا رأته عليه الصلاة والسلام يتحـــدث مع أبى بكر انطلقت نحـــوهما ..

فقال أبو بكر : يا رسول الله إنها امرأة بذيئة فلو قمت فوالله لتؤذينك ..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

— إنهـــا لن ترانى ..

وأقبلت أم جميل فقالت : يا أبا بكر صاحبك هجانى ..

قال أبو بكر : لا ورب هـــذا البيت ما هجاك ..

(كان أبو بكر يقسم صـــدقا فما هجاها النبى عليه الصلاة والسلام بل هجاها العلى القـــدير) .

قالت أم جميل : أنشد فى شـــعرا ..

قال أبو بكر : والله ما صاحبى بشاعر وما يدرى ما الشعر ..

فقالت أم جميل : والثواقب إنه لشاعر وإنى لشاعرة :

مـــذممـــا أبينـــــا ودينـــــه قلينـــــا
وأمـــــره عصـــــينا

وانصرفت أم جميل إلى دارها • فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

ـ جعل بينى وبينها حجاب ••

وذات ضحى كان سادة قريش حـول الكعبة فطلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر • فاستلم النبى عليه الصلاة والسلام الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فغمزه أمية بن خلف ببعض القول • ثم مر بهم الثانية فغمزه بمثلها • ثم مر بهم الثالثة فغمزه بمثلها •• فوقف رسول الله صلى الله عليه وسـلم وقـال :

ـ أتسمعون يا معشر قريش •• أما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح •••

فنزل الرعب فى قلوبهم وما يتبقى رجل منهم إلا وكأنما على رأسه طائر وقـع •• وقالـوا :

ـ يا أبا القاسم ، انصرف فوالله ما كنت جهولا ••

فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ••

ولـما كان الغـد • اجتمع أشراف قريش فى الحجر • فقال أبو جهل :

ـ ذكرتم ما بلغ وما بلغكم عنه حتى إذا ناداكم بما تكرهون تركتموه ••

وبينما هم كذلك إذ طلع عليهم النبى عليه الصلاة والسلام • فقام أمية ابن خلف والتقط عظما باليـا قـد أرمت • واعترض طريقـه صلى الله عليه وسـلم وقـال :

ـ يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هـذا بعـد أن أرم ؟

ثم فتتها ونفخها فى وجـه النبى عليه الصلاة والسلام ، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهه ما أصابه وقال :

ـ نعم أنا أقول ذلك يبعثه الله وإياك بعـد ما تكونان هكذا ، ثم يدخلك الله النـار •

تساءل أمية بن خلف :

ـ أتقول يبعثنى الله ربك بعـد ما أكون هكذا مثل هـذه العظام التى أرمت ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : نعم ••

(وضرب لنــا مثلا ونسى خلقــه قال من يحيى العظام وهى رميم * قــل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهـــو بكل خلق عليم * الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقـــدون) ..

(الآيات ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ سورة يس)

قال النضر بن الحارث :

ـ يا محمد أنت الذى تقول : (إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم * أفنجعل المسلمين كالمجرمين * ما لكم كيف تحكمون * أم لكم كتاب فيه تدرسون) ..

(الآيات ٣٤ ، ٣٥، ٣٦ ، ٣٧ سورة القلم)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم أنا أقول ذلك ..

قال عقبة بن أبى معيط :

ـ يا محمد أنت الذى تقول : (ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا) ..

(الآية ٢٣ سورة الجن)

قال النبى عليه الصلاة والسلام : نعم أنا الذى يقول ذلك ..

قال أبو جهل بن هشام :

ـ يا محمد أنت الذى تقول : (إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) ..

(الآية ٢٣ سورة النجم)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم أنا أقول ذلك ..

قال أبو سفيان بن حرب :

ـ يا محمد أنت الذى يقول : أن إلهك خير من آلهتنا ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : نعم أنا الذى أقول ذلك ..

قال عتبة بن ربيعـــة :

ـ يا محمد ، هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد . فنشرك نحن وأنت فى الأمر فإن كان الذى تعبد خيرا مما نعبد كنا أخـــذنا بحظنا منه ، وإن كان ما نعبد خيراً ممـــا تعبد كنت قـــد أخـــذت بحظك منه ..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ (بسم الله الرحمن الرحيم * قــل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد * لكم دينكم ولى دين) ..

(سورة الكافرون كلها)

فقال عقبة بن أبى معيط : لنا ديننا وهــو خير من دينك هــذا ..

ثم أخــذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه فى عنقــه فخنقه خنقا شــديدا . وتشبث سادة قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم . فأتى رجــل أبا بكر وقال له :

ــ أدرك صاحبــك ..

فخرج ابو بكر حتى دخل المسجد والناس مجتمعون عليه صلى الله عليه وسلم . فقام أبو بكر دونه عليه الصلاة والسلام .. وهــو يبكى ويقول :

ــ ويلكم أتقتلون رجلا يقول ربى الله وقــد جاءكم بالبينات ؟

وحاول أبو بكر أن يفــدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه فأمسك به الرجال وصــدعوا رأسه وجــذبوا لحيته .

ونام خالد بن سعيد بن العاص فرأى فى المنام أنه وقف به على شفير النار ورأى فى النوم كأن آت أتاه يدفعه فيها فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم آخــذا بحقويه (الحقو : الكشح وهو ما بين الخاصرة إلى الضلع من الخلف) لا يقع ، ففزع خالد بن سعيد من نومه وقال :

ــ أحلف بالله إن هــذه الرؤيا حــق ..

فلقى أبا بكر فذكر ذلك له فقال :

ــ أريد بك خير ، هــذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه فإنك ستتبعه وتدخل معــه فى الإسلام يحجزك أن تدخل فيها ، وأبوك واقع فيها ..

فلقى خالد بن سعيد النبى عليه الصلاة والسلام وهو بأجياد فقال :

ــ يا محمد إلام تدعــو ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ــ أدعوك إلى الله وحــده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يبصر ولا يسمع ، ولا يضر ولا ينفع ، ولا يدرى من عبده ممن لا يعبده ..

فقال خالد بن سعيد : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ..

فسر النبى عليه الصلاة والسلام بإسلامه • ولما علم أبوه سعيد بن العاص بإسلامه أرسل فى طلبه فأتى به فأنبه وضربه بمقرعة فى يده حتى كسرها على رأسه وقال : والله لأمنعنك القوت ••

فقال خالد بن سعيد : إن منعتنى فإن الله يرزقنى ما أعيش به ••
وانصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يكرمه ويكون معه •

وذات يوم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد ومعه عبد الله ابن مسعود وعثمان بن عفان وصهيب بن سنان وأبو بكر ، فقام النبى عليه الصلاة والسلام يصلى • وقد نحر جزورا بين إساف ونائلة وبقى روثه فى كرشه • وكان أبو جهل وعدى بن الحمراء وعقبة بن أبى معيط وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة والنضر بن الحارث وبعض من سادات قريش فى مجلسهم • فلما رأى أبو جهل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى قال :
ــ أيكم يأخذ سلى الجزور فيضعه بين كتفى محمد إذا سجد ؟

فقال عقبة بن أبى معيط : أنا لها يا أبا الحكم ••

فجاء عقبة بن أبى معيط بسلى جزور وقذفه على ظهر النبى صلى الله عليه وسلم فلم يرفع رأسه •

فضحك أشراف قريش وجعلوا يميلون بعضهم على بعض من شدة الضحك (كان أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين فخافوا أن يلقوا سلى الجزور عنه) حتى أقبلت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذته من ظهره ودعت على من صنع • فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

ــ اللهم عليك الملأ من قريش : أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف وعقبة بن أبى معيط ••

فلما سمع سادة قريش دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب عنهم الضحك ووقع الخوف فى قلوبهم ••

ولما راح رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف البيت ويده فى يد أبى بكر وعثمان بن عفان مروا بأشراف قريش فلما حاذوهم أسمعه أبو جهل بعض ما يكره • فبدا فى وجه النبى عليه الصلاة والسلام أثر ما قال أبو جهل ؛ ولكنه صلى الله عليه وسلم سكت وأخذ يطوف • فلما حاذوهم

قال أبو جهل : والله لا نصالحك ما بلّ بحر صوفة ، وأنت تنهى أن نعبد ما كان يعبد آباؤنا .

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : أنا ذلك ..

ثم مضى فصنع أبو جهل به فى الشوط الثالث مثل ذلك . حتى إذا كان الشوط الرابع قام سادة قريش له فوثب أبو جهل يريد أن يأخذ بمجامع ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفع عثمان صدر أبى جهل فوقع على استه ودفع أبو بكر أمية بن خلف ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة بن أبى معيط .. فانفرجوا عن النبى عليه الصلاة والسلام .. فقال :

ــ أما والله ما تنتهون حتى يحل بكم عقابه ؟ بئس القوم أنتم لنبيكم ..

وانصرف صلى الله عليه وسلم إلى بيته ..

وثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله منهم النبى عليه الصلاة والسلام بعمه أبى طالب ، وأبو بكر منعه الله بقومه .

وكان أبو جهل بن هشام يُغرى بالمسلمين فى رجال من قريش إن سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة أنّبه وخزاه وقال :

ــ تركت دين أبيك وهو خير منك لنسفهن حِلْمك ولنفيّلن (نخطئن) رأيك ولنضعن شرفك .

وإن كان تاجرا قال له أبو جهل : والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك ..

ومر أبو بكر ببلال بن رباح وهو يعذب فقال لأمية بن خلف : ألا تتقى الله فى هذا المسكين ؟

قال أمية : أنت أفسدته فأبعدته ..

قال أبو بكر : عندى غلام على دينك أسود أجلد من هذا أعطيكه به ؟

قال أمية بن خلف : وتدفع لى خمس أوقيات من الذهب ..

فقال أبو بكر : قبلت ..

فأعطاه أبو بكر الغلام الأسود وخمس أوقيات من الذهب ، فقال أمية وهو يضع كيس الذهب فى جيبه :

— واللات يا أبا بكر لو رفضت أن تشترى بلالا بخمس أوقيات لبعتــه لك بأوقيـــــة ..

فقال أبو بكر : والله يا أمية لو طلبت مائة أوقية ثمنا لبلال لدفعتها لك .

وأعتق أبو بكر بلال بن رباح ..

واشترى أبو بكر زنيرة وأم عميس وأعتقهما ..

والنهدية وابنتها (كانتا جاريتين لعبد الدار بعثتهما سيدتهما تطحنان لها) فسمعها أبو بكر وهى تقول لهما :

— والله لا أعتقكما أبدا ..

فقال أبو بكر : حل يا أم فلان (تحللى من يمينك) .

فقالت : حل ، أنت أفسدتهما فأعتقهما ،

قال أبو بكر : فبــكم ؟

قالت : بكــذا وكــذا ..

قال أبو بكر : قــد أخــذتهما وهما حرتان . أرجعا إليها طحينها .

قالت النهدية وابنتها : أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها ،

قال أبو بكر : أو ذلك إن شئتما .

ومر أبو بكر بأبى فكيهة وهو يعــذب فاشتراه وأعتقه .

وأخــذ الطفيل بن الحارث (بن عبد الله) يسقى عامر بن فهيرة العذاب والهــول وقال له : عــد إلى دين آبائك ..

قال عامر بن فهيرة : والله لا أعود إلى الظلمات ..

فراح الطفيل يعــذبه حتى لا يدرى ما يقول فلمــا رأى أبو بكر ما ينزل به من العــذاب قال للطفيل : ألا تتقى الله فى هــذا المسكين ؟

قال الطفيل : أفسده صاحبــك ..

فاشتراه أبو بكر وأعتقه فأقام عامر بن فهيرة فى بيت أبى بكر وأصــبح يرعى عليه منيحة من غنم له .

فقال أبو قحافــة : يا بنى إنى أراك تعتق ضعافا فلو أنك إذ فعلت أعتقت رجالا جلداء يمنعونك ويقــومون دونك .

فقال أبو بكر لأبيه : يا أبت إنى إنمــا أريد ما أريد .

فأنزل الله تعالى :

(فأما من أعطى واتقى * وصـــدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى * وأما من بخــل واستغنى * وكذب بالحسنى * فسنيسره للعسرى * وما يغنى عنــه ماله إذا تردى * إن علينا للهـدى * وإن لنـا للآخرة والأولى * فأنذرتكم نارا تلظى * لا يصلاها إلا الأشقى * الذى كذب وتولى * وسيجنبها الأتقى * الذى يؤتى ماله يتزكى * وما لأحـد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء وجــه ربه الأعلى * ولسوف يرضى) ..

(الآيات ٥ الى ٢١ : سورة الليل)

ولمـا أسلم عمر بن الخطاب فرح النبى عليه الصلاة والسلام وهنأه أبو بكر . وأعز الله الإسلام به ، وأصبح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون فى المسجد الحرام ويقرأون القرآن آمنين مطمئنين .. ولمـا علم المسلمون المهاجرون إلى الحبشة (الهجرة الأولى) بإسلام عمر رجعوا إلى أم القرى ، ولكن قريشا عندما علمت بمقـدمهم نصبت لهم شباكا ونجا كل من دخل فى جوار رجــل من قريش وأنزلت بمن لم يدخل فى جوار أحــد من سادات قريش أشـــد العــذاب .

وربت عــداوة قريش لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءوا إليه يبكون ويشكون واستأذنوه فى الهجرة إلى الحبشة .. فأذن لهم .

وضاقت مكة على أبى بكر وأصابه فيها من الأذى ما أصابه فاستأذن النبى عليه الصلاة والسلام فى الهجرة فأذن له . فقــد رأى فى هجرته إلى الحبشة الأمن والأمان فترك ماله وأهله ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه . وأم القرى ، وخرج مهاجرا فى سبيل الله . وبعــد أن سار من مكة يوما لقيــه ابن الدغنة سيد الأحابيش (تحالف بنو الهون بن خزيمة تحت جبل حبشى أسفل مكة على أنهم يد واحــدة على ما عــداهم ماسجا ليل ووضح نهار فسموا أحابيش قريش) فقال ابن الدغنة :

— إلى أين يا أبا بكر ؟

قال أبو بكر : أخرجنى قومى وآذونى وضيقوا على ..

قال ابن الدغنة : ولم ؟ فوالله إنك لتزين العشيرة وتعين على النوائب وتفعل المعروف وتكسب المعــدوم .. ارجع ارجع وأنت فى جوارى .

فرجع ابو بكر معه حتى إذا دخل مكة .. قام ابن الدغنة وقال : يا معشر قريش إني قد أجرت ابن أبي قحافة فلا يعرض له أحد إلا بخير .

فكفوا عنه . وسار أبو بكر آمنا مطمئنا . وأخذ يصلي ويقرأ القرآن في البيت الحرام ، وكان بكاء لا يملك دمعه .

ولكن قريشا عادت فقالت لابن الدغنة :

— مر أبا بكر فليعبد ربه في داره ، وليصل فيها ما شاء وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا ولا يستعلن بالصلاة والقراءة في غير داره .

فذهب ابن الدغنة إلى أبي بكر وأخبره . فلزم أبو بكر داره ثم بنى مسجدا بفناء داره فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فتتقصف (تزدحم) عليه نساء المشركين وأبناؤهم يتعجبون منه وينظرون إليه .. فأفزع ذلك أشراف قريش فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم .. فأتى أبا بكر فقال له :

— يا أبا بكر قد علمت الذي عقدت لك عليه فإما أن تقتصر على ذلك وإما .. ؟

قال أبو بكر : وإما أن أرد عليك جوارك ...

قال ابن الدغنة : نعم .

قال أبو بكر : فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله ورسوله .

فقام ابن الدغنة في الناس ومعه أبو بكر فقال :

— يا معشر قريش إن أبا بكر بن أبي قحافة قد رد على ذمتي (جواري) فشأنكم بصاحبكم .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوافي المواسم يتبع الحاج في منازلهم بعكاظ ومجنة وذي المجاز يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالة ربه عز وجل ولهم الجنة . وكان يصحب أبا بكر معه .. ولكن أحدا لم ينصره (ظل يدعو الحاج عشر سنين) وقالت موسم . خرج النبي عليه الصلاة والسلام ومعه أبو بكر وعلي وجلس سادات قريش للناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمر النبي عليه الصلاة والسلام .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفق على نفسه وعلى المستضعفين الذين ذاقوا صنوف العذاب صابرين في سبيل الله ونصرة دينه . وبينما

كان النبى صلى الله عليه وسلم جالسا فى قبته وحوله المقداد بن عمرو وحمزة ابن عبد المطلب وزيد بن محمد ومصعب بن عمير وبلال وأبو بكر وصهيب بن سنان إذ نزل عليه الوحى **(يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدى القوم الكافرين) .**

(الآية ٦٧ سورة المائدة)

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيها الناس انصرفوا فقد عصمنى الله ...

وقف النبى عليه الصلاة والسلام ليدعو الملأ إلى الإسلام ويتلو عليهم آيات الله البينات . فإذا بأبى جهل وعقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث يهرعون إلى من تجمعوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليفضوهم عنه . وبرز عمه أبو لهب من ورائه وقال :

ــ هذا ابن أخى إنه ساحر كذاب ..

فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : ما أنا إلا بشير ونذير ...

فقال أبو جهل : إنه مجنون ..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : إن أتبع الا ما يوحى إلى ..

فقال عقبة بن أبى معيط : بل شاعر نتربص به ريب المنون ..

وارتفع صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض آيات من الذكر الحكيم ، ولكن صفير وتصفيق أبى جهل وعدى بن الحمراء والنضر بن الحارث وأمية بن خلف ظهر على صوته عليه الصلاة والسلام .. ثم قالوا :

ــ هذا سحر مبين ..

وقال النضر بن الحارث : افتراه ..

فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

(إن افتريته فلا تملكون لى من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون فيه ، وكفى به شهيدا بينى وبينكم وهو الغفور الرحيم) .

(الآية ٨ سورة الأحقاف)

وحاول أبو بكر والمقداد وحمزة وزيد ومصعب أن يوضحوا للناس حقيقة الدين القويم . فقال سادة قريش :

ــ لو كان خيرا ما سبقونا إليه . إن هذا إلا أساطير الأولين ..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

— (ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخــذ إلى ربه سبيلا) •

قال الحارث بن قيس :

— ما هــذا إلا رجل يريد أن يصــدكم عما كان يعبد آباؤكم •••

فتلقفها الأسود بن عبد يغوث وقال :

— إنه يسب آلهتنا وآلهتكم ويسفه أحلامنا وأحلامكم ••

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

— إلهكم إله واحــد لا إله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه ••

تساءل سادة قريش : واللات والعزى ومناة وهبل ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

— إن هى إلا أسماء سميتموها • أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ؟

قال العاص بن وائل السهمى : إنها تقربنا إلى الله زلفى ••

قال أبو جهل بن هشام :

— إنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون ؟ • إن هــذا إلا إفك قــديم •••

قال النبى عليه الصلاة والسلام :

— (يا أيها الناس قــد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل) •

قال شيبة بن ربيعة : فلتأتنا بآية إن كنت من الصادقين ••

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

— (إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين) ••

قال النضر بن الحارث : لم لا يأتى معك ملك ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام :

— لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك إن أتبــع إلا ما يوحى إلى •

فتفــرق النــاس •

واقترب أبو جهل من النبى عليه الصلاة والسلام وقال :

— أبشراً منا واحــدا نتبعه ؟ إنا إذا لفى ضلال وسعر ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

- (يا أيها الناس إن كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين) .

فسخر منه أبو جهل بن هشام وضحك لما رأى الناس تفرقوا بعيدا عن النبى عليه الصلاة والسلام .

وماتت خديجة بعد أيام من موت أبى طالب فتلاحقت المصائب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونالت منه قريش فقد كان أبو طالب يمنعه وينصره ؛ وكانت خديجة وزير صدق له وللإسلام .

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة فكانت أول امرأة تزوجها بعد خديجة فى رمضان سنة عشر من النبوة ودخل بها بمكة . وعقد النبى عليه الصلاة والسلام على عائشة بنت أبى بكر فى شوال سنة عشر من النبوة أيضا ففرح أبو بكر فقد صار صهرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف (رفضوا أن ينصروه ليبلغ رسالة ربه وآذوه) دخل النبى عليه الصلاة والسلام على أم هانىء بغلس ، وهى على فراشها فقال صلى الله عليه وسلم :

- شعرت أنى نمت الليلة فى المسجد الحرام فأتانى جبريل عليه السلام فأيقظنى وأخرجنى من المسجد وإذا أنا بدابة وهى البراق ، وهى فوق الحمار ودون البغل أبيض وفى فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه ، يضع حافره فى منتهى بصره فقال : اركب ، فلما وضعت يدى عليه تشامس واستصعب فقال جبريل : يا براق ما ركبك نبى أكرم على الله من محمد . فانصب عرقا وانخفض لى ، حتى ركبته وجبريل عليه السلام لا يفوتنى حتى انتهينا إلى بيت المقدس فأدخل جبريل يده فى الصخرة فخرقها وشد به البراق . فنشر لى رهط من الأنبياء فيهم إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، فصليت بهم وكلمتهم وأتيت باناءين أحمر وأبيض فشربت الأبيض فقال لى جبريل عليه السلام : شربت اللبن وتركت الخمر ، لو شربت الخمر لغوت أمتك بعدك . ثم ركبته فأتيت المسجد الحرام فصليت به الغداة .

فتعلقت أم هانيء برداء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت :
.. أنشدك الله ابن عم إن حدثت بهذا الخبر قريشا فيكذبك من صدقك .
يا نبى الله لا تحدث بهذا الحديث الناس فيكذبونك ويؤذونك ..
فقال النبى عليه الصلاة والسلام : والله لاحدثنهموه ..

وضرب صلى الله عليه وسلم بيده على ردائه فانتزعه من يدها وخرج عليه الصلاة والسلام فجلس فى المسجد الحرام وهو واجم فرآه أبو جهل بن هشام فقال : هل كان من شيء ؟

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : نعم ..

فتساءل أبو جهل : ما هو ؟
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسرى بى الليلة ..

قال أبو جهل : إلى أين ؟
قال النبى عليه الصلاة والسلام : إلى بيت المقدس ..

فعاد أبو جهل بن هشام يتساءل : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ..

قال أبو جهل : أرأيت إن دعوت قومك لتخبرهم لاخبرتهم بما أخبرتنى به ؟

(أراد أبو جهل بن هشام جمع قريش ليسمعوا النبى عليه الصلاة والسلام يقول لهم ذلك) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ..

(أراد النبى عليه الصلاة والسلام جمع قريش فيخبرهم ذلك ويبلغهم) .
صاح أبو جهل بن هشام : هيا يا معشر قريش ..
فاجتمعوا من أنديتهم .. فقال أبو جهل : أخبر قومك بما أخبرتنى به ..
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى أسرى بى الليلة ..
فقال أهل مكة : إلى أين ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام :

— إنى بيت المقدس راكبا البراق صحبة جبريل يضع خطوه عند أقصى طرفه [حيث ينتهى بصره] فحملت عليه فانطلق بى جبريل . فأدخل يده فى

الصخرة فخرقها وشـد به البراق ، ثم دخلت المسجد فوجـدت إبراهيم الخليل وموسى وعيسى فى نفر من الأنبياء جمعوا لى فصليت بهم . ثم جاءنى جبريل عليه السلام باناء من خمر وإناء من لبن ، فاخترت اللبن ، فقال جبريل : اخترت الفطرة : هـديت وهـديت أمتك يا محمد . ثم عرج بنا إلى السماء الدنيا فاستفتح لى جبريل ففتح لنا ، ورأيت هنـاك آدم أبا البشر فسلمت عليه فرحب بى ورد على السلام وأرانى أرواح السعداء عن يمينى ، وأرواح الأشقياء عن شمالى . ثم عرج بى إلى السماء الثانية فاستفتح لى فرأيت فيها يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم ، فلقيتهما وسلمت عليهما فردا على السلام ، ورحبا بى ، وأقرا بنبوتى ، ثم عرج بى إلى السماء الثالثة فرأيت فيها الصديق فسلمت عليه ورحب بى ثم عرج بى إلى السماء الرابعة ، فرأيت فيها إدريس فسلمت عليه ورحب بى : ثم عرج بى إلى السماء الخامسة فلقيت هارون بن عمران فسلمت عليه ورحب بى وأقر بنبوتى : ثم عرج بى إلى السماء السادسة فلقيت فيها موسى فسلم على ورحب بى وأقر بنبوتى فلما جاوزته بكى ، فقلت له : ما يبكيك ؟ قال : إن غلاما بعـدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممـا يدخلها من أمتى . ثم عرج بى إلى السماء السابعة فلقيت إبراهيم فسلمت عليه ورحب بى وأقر بنبوتى ثم رفعت إلى سدرة المنتهى ، ثم رفع لى البيت المعمور ، ثم عرج بى إلى الجبار جل جلاله ، فدنوت منه حتى كنت بين قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى . وفرض على خمسين صلاة فرجعت حتى مررت على موسى فقال : بم أمرت ؟ قلت : بخمسين صلاة قال : إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك . فالتفت إلى جبريل كأننى أستشيره فى ذلك فأشار أن نعم إن شئت فرجعت فسألت ربى أن يخفف عنى وعن أمتى : فوضع عشرا ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لى مثل ذلك فرجعت فسألت ربى أن يخفف عنى وعن أمتى ، فوضع عشرا ، ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لى مثل ذلك فرجعت إلى ربى فوضع عشرا ثم لم يزل يقول لى مثل ذلك كلما رجعت إليه قال : ارجع فاسأل ربك .. حتى انتهيت إلى أن وضع عنى إلا خمس صلوات كل يوم وليلة : ومن يؤديها كاملة ينال ثواب خمسين صلاة . ثم رجعت إلى موسى قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإنى قـد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشـد المعالجة : فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك فقلت : سألت ربى حتى استحييت ولكن

أرضي وأسلم • فلما جاوزت نادانى مناد : أمضيت فريضتى ، وخففت عن عبـادى ،

صفق أكثر أهـل مكة وقالوا :

ــ هـذا والله العجب المبين ، والله إن العير لتطرد شهرا من مكة إلى الشام مدبرة وشهرا مقبلة ، أفيذهب ذلك محمد فى ليلة واحـدة ويرجع إلى مكة ؟

وأسرع أبو جهل بن هشام إلى أبى بكر فقال له :

ــ هل لك فى صاحبك يزعم أنه أسرى به إلى بيت المقـدس ؟

قال أبو بكر : إنكم تكذبون عليه ••

قال أبو جهل بن هشام : والله إنه ليقوله ••

قال أبو بكر : إن كان قاله فقـد صـدق ••

فرماه أبو جهل بنظرة كالسيف وقال :

ــ أتصـدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقـدس وعاد قبل أن يصبح ؟

قال أبو بكر :

ــ نعم إنى أصـدقه أبعـد من ذلك فما يعجبكم من ذلك ؟ فوالله إنه ليخبرنى أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه ، فهـذا أبعـد مما تعجبون منه ••

أقبل أبو بكر وأبو جهل بن هشام •• فقال أبو بكر :

ــ يا نبى الله أحـدثت هؤلاء القوم أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : نعم ••

قال أبو بكر : يا نبى الله فصفه لى فإنى قـد جئته ••

فجعل الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بيت المقـدس ينظر إليه دون دار عقيل وينعته •• وأبو بكر يقول : صدقت • أشهد أنك رسول الله ••

وكلما وصف النبى عليه الصلاةوالسلام منه شيئا قال أبو بكر : صدقت أشهد أنك رسول الله •

حتى انتهى النبى صلى الله عليه وسلم •• قال لأبى بكر :

ــ وأنت أبو بكر الصـديق ••

(فيومئذ سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الصـديق) •

قال بعض مشركى قريش : أما الصفة فقـد أصاب ••

المطعم بن عــدى :

ـ إن آمرك قبل اليوم كان يسيرا غير قولك اليوم وأنا أشهد أنك كاذب ..
نحن نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقــدس مصعداً شهراً ومنحــدراً شهرا أتزعم أنك أتيته فى ليلة واحــدة ؟ واللات والعزى لا أصــدقك وما كان الذى تقول قط ..

واحتدم الجــدل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمكذبين .. فقال زيد بن محمد وحمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب :

ـ يا نبى الله ألم ترآية وأنت فى طريقك إلى بيت المقــدس ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ وآية ذلك أنى مررت بعير بنى فلان بوادى كذا وكذا فأنفرهم حس الدابة فند لهم بعير فدللتهم عليه وأنا متوجه إلى الشام ، ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجنان (جبل بناحية تهامة) مررت بعير بنى فلان فوجــدت القوم نياما ولهم إناء فيه ماء قــد غطوا عليه بشىء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ، ثم غطيت عليه كما كان ، وآية ذلك أن عيرهم تصوب الآنمن ثنية التنعيم البيضاء يقــدمها جمــل أورق عليــه غرارتان إحــداهما ســوداء والأخرى برقاء ..

فأسرع القوم إلى الثنية ، ولمــا كادت الشمس أن تغــرب أقبلت العير فسألوا عن الإناء وعن البعير فأخبروهم كما ذكر النبى عليه الصلاة والسلام وكما وصــف لهم ...

وعاد الجــدل والحوار والاستنكار يملأ كل بيت فى مكة ، وارتدت طائفة بعــد إسلامها وآمن من آمن على يقين من ربه ، وأنزل الله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) ولمــا أصبح النبى عليه الصلاة والسلام من صبيحة ليلة الإسراء جاءه جبريل عند الزوال فبين له كيفية الصــــلاة وأوقاتها ، فأمر النبى عليه الصلاة والسلام أصحابه فاجتمعوا وصلى به جبريل فى ذلك اليوم إلى الغــد والمسلمون يأتمون برسول الله صلى الله عليه وسلم وهــو يقتدى بجبريل ، وخرج النبى عليه الصلاة والسلام إلى مجنــة ومن حوله أبو بكر وعلى بن أبى طالب ، وأخــذ يطوف على القبائل فى منازلهم يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالة ربه .. ويقول :

ـ يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب ، وتدين لكم بها العجم ، فإذا متم كنتم ملوكا فى الجنة ..

وأبو لهب وراءه يقول : لا تطيعوه فإنه صابيء كذاب ..
فيسأل الناس : من هـذا الذى يتبعه ويرد عليه ما يقول ؟
فيقول سادة قريش : إنه عمه أبو لهب ..

فيرد الناس على النبى عليه الصلاة والسلام أقبـــح الرد ويؤذونه .. ويقـــولون :

ــ أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك ..
وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه .

فقال بحيرة بن فراس :
ــ والله لو أنى أخـذت هـذا الفتى من قريش لأكلت به العرب ..

ثم أشار بيده وتساءل :
ــ أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنـا الأمر من بعـدك ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الأمر لله يضعه حيث يشاء ،
قال بحيرة بن فراس :
ــ أفنهـدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ؟ لا حاجة لنـا بأمرك .
وأبوا عليه صلى الله عليه وسلم ..

وتقـدم أبو بكر إلى جماعة من العرب وكان رجلا نسّابة فسلم عليهم فردوا عليـه .

قال أبو بكر : ممـن القـوم ؟
قالـوا : من ربيعـة .
تساءل أبو بكر : من هامتها أم لهازمها ؟
قالـوا : من هامتها العظمى .
قال أبو بكر : وأى هامتها العظمى أنتم ؟
قالـوا : من ذهـل الأكبر .
قال أبو بكر : فمنكم عوف الذى يقال فيه لا حرّ بوادى عوف ؟
قالـوا : لا ..
قال أبو بكر : فمنكم بسطام بن قيس أبو اللوا ومنتهى الأحيا ؟

قالـوا : لا ٠
قال أبو بكر : فمنكم جساس بن مرة حامى الذمار ومانع الجار ؟
قالـوا : لا ٠
قال أبو بكر : فمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنفسها ؟
قالـوا : لا ٠
قال أبو بكر : فمنكم المزدلف صاحب العمامة ؟
قالـوا : لا ٠
قال أبو بكر : فأنتم أخوال الملوك من كندة ؟
قالـوا : لا ٠
قال أبو بكر : فأنتم أصهار الملوك من لخم ؟
قالـوا : لا ٠
قال أبو بكر : فلستم من ذهل الأكبر ٠٠ أنتم من ذهل الأصغر ٠٠

فقام إليه غلام (دغفل بن حنظلة الذهلى) وقـد بقل وجهه (بدت لحيته) فقـال :

ـ يا هـذا إنك سألتنا فأخبرناك ولم نكذبك شيئا ٠٠ فمن الرجل ؟
قال أبو بكر : من قريش ٠
قال دغفل بن حنظلة : بخ بخ أهل الشرف والرئاسة أى القرشيين أنت ؟
قال أبو بكر : من ولد تيم بن مرة ٠

قال دغفـل :
ـ أمكنت والله الرامى من سواء الثغرة ٠ أفمنكم قصى بن كلاب الذى قتـل بمكة المتغلبين عليها وأجلى بقيتهم وجمع قـومه من كل أوب حتى أوطنهم بمكة ثم استولى على الدار وأنزل قريشا منازلها فسمته العرب بذلك ، وفيـه يقـول الشاعر :

أليس أبوكم كان يدعى مجمعًا به جمع الله القبائل من فهـر

قال أبو بكر : لا ٠٠

قال دغفل بن حنظلة :
ـ فمنكم عبد مناف الذى انتهت إليه الوصايا وأبو الغطاريف السادة ؟
قال أبو بكر : لا ٠٠

قال دغفـــل :

ــ فمنكم عمرو بن عبد مناف هاشم الذى هشم الثريد وفيه يقول الشاعر :

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجـــاف
سنوا إليــه الرحلتين كليهمــا عند الشتاء ورحــلة الأصياف
كانت قريش بيضـــة فتفلقت فالمح خالصــة لعبــد منــاف

قال أبو بكر : لا ..

قال دغفــل بن حنظلة :

ــ فمنكم عبد المطلب شيبة الحمد : وصاحب عير مكة ، ومطعم السماء والوحوش والسباع فى الفلا : الذى كان وجهه قمرا يتلألأ فى الليلة الظلماء ؟

قال أبو بكر : لا ..

قال دغفــل : أفمن أهــل الإفاضـــة ؟

قال أبو بكر : لا ..

قال دغفــل : أفمن أهــل الحجابة أنت ؟

قال أبو بكر : لا ..

قال دغفــل بن حنظلة : أفمن أهــل النـــدوة ؟

قال أبو بكر : لا ..

قال دغفــل : أفمن أهــل السقاية أنت ؟

قال أبو بكر : لا ..

قال دغفــل بن حنظلة : أفمن أهل الرفادة انت ؟

قال أبو بكر : لا ..

قال دغفــل : فمن المفيضين أنت ؟

قال أبو بكر : لا ..

وجذب أبو بكر زمام ناقته من يد دغفل بن حنظلة .. فقال :

صادف درء السيل درءا يدفعــه يهيضه حينــا وحينــا يرفعــه

ثم قال دغفــل بن حنظلة :

ــ يا أخا قريش أما والله لو ثبت لخبرتك أنك من زمعات قريش ، ولست من الذوائب ،

وأقبل النبى عليه الصلاة والسلام يتبسم فقال على بن أبى طالب :
— يا أبا بكر قـد وقعت من الأعرابى على باقعة (داهية) .

فقال أبو بكر :
— أجل إنه ليس من طامة إلا فوقها طامة ، والبلاء موكل بالقول .

وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعلى بن أبى طالب إلى مجلس عليه السكينة والوقار فرأى أبو بكر مشايخ لهم أقـدار .. فتقـدم وسـلم وقال :
— ممـن القـوم ؟
قالـوا : من بنى شيبان بن ثعلبة ..

فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :
— بأبى أنت وأمى ليس بعـد هؤلاء من غرر الناس ، وليس وراء هؤلاء عذر من قـومهم ، ففيهم مفروق بن عمرو وهانىء بن قبيصـة ، والمثنى بن حارثة والنعمان بن شريك ..

(وكان مفروق بن عمرو أدنى القوم مجلسا من أبى بكر) فقال له :
— كيف العـدد فيكم ؟
قال مفروق بن عمرو : إنا نزيد على الألف ولن تغلب ألف من قلة ..
فتساءل أبو بكر : فكيف المنعـة فيكم ؟
قال مفروق : علينا الجهد ولكل قـوم جـد ..
فقال أبو بكر : فكيف الحرب بينكم وبين عـدوكم ؟

قال مفروق بن عمرو :
— إنا أشـد ما نكون لقاء حين نغضب ، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد ، والسلاح على اللقـاح ، والنصر من عند الله يديلنا مرة ويديل علينا مرة .. لعلك أخـو قريش ؟

فقال أبو بكر وهـو يشير نحو النبى عليه الصلاة والسلام :
— إن كان بلغكم أنه رسول الله .. فها هو هـذا ..
فقال مفروق بن عمرو : قـد بلغنا أنه يذكر ذلك ..
ثم التفت مفروق بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله :
— إلام تدعـو يا أخا قريش ؟

فتقــدم النبى عليه الصلاة والسلام ، وقام أبو بكر يظله بثوبه • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ــ أدعــوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحــده لا شريك له ، وأنى رسول الله ، وأن تؤوونى وتنصرونى حتى أؤدى عن الله الذى أمرنى به ، فإن قريشا قــد تظاهرت على أمر الله ، وكذبت رسوله واستغنت بالباطــل عن الحــق والله هــو الغنى الحميد ••

قال مفروق : وإلا م تدعــو يا أخا قريش ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ــ **(قــل تعــالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شــيئا وبالوالدين احســانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منهــا وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حــرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون* ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشــده وأوفــوا الكيل والميزان بالقســط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعــدلوا ولو كان ذا قربى وبعهــد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون* وإن هــذا صراطى مستقيما فاتبعــوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) ••**

(الآية ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ سورة الأنعام)

قال مفروق بن عمرو :

ــ وإلا م تدعــو أيضا يا أخا قريش ؟ فوالله ما هــذا من كلام أهل الأرض ، ولو كان من كلامهم لعرفناه .

قال النبى عليه الصلاة والسلام :

ــ **(إن الله يأمر بالعــدل والإحســان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) ••**

(الآية ٩٠ سورة النحــل)

قال مفروق :

ــ دعــوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ؛ ولقــد أفك قــوم كذبوك وظاهروا عليك •

وأراد مفروق بن عمرو أن يشاركه فى الحــديث هانىء بن قبيصــة •• فقــال :

ــ هــذا هانىء بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا ••

قـال هـانىء :

ـ قـد سمعت مقالتك يا أخا قريش ، وصـدقت ، وإنى أرى أن تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر لم نتفكر فى أمرك وننظر فى عاقبة ما تدعو إليه ، زلة فى الرأى ، وطيشة فى العقل ، وقلة نظر فى العاقبة ، وإنما تكون الزلة مع العجلة ، وإن من ورائنا قـوما نكره أن نعقد عليهم عقدا ، ولكن نرجع وترجع وننظر وتنظر •

وكأنه أراد أن يشرك فى الكلام المثنى بن حارثة •• فقال :

ـ وهـذا هـو المثنى شيخنا وصاحب حربنا ••

فقال المثنى بن حارثة :

ـ لقـد سمعت مقالتك يا أخا قريش واستحسنت قولك وأعجبنى ما تكلمت به ، والجواب هـو جواب هانىء بن قبيصة ، وتركنـا ديننا واتباعنـا إياك فى مجلس جلست إليه ، وإنا إنما نزلنا بين صريين أحـدهما اليمـامة والآخر السماوة •

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما هـذان الصريان ؟

قال المثنى بن حارثة :

ـ أما أحـدهما فطوف البر وأرض العرب ، وأما الآخر فأرض وأنهـار كسرى ، وإنما نزلنـا على عهد أخـذه علينا كسرى ألا نحـدث حـدثا ولا نؤوى محـدثا ، ولعل هـذا الأمر الذى تدعونا إليه ممـا تكرهـه الملـوك ؛ فأما ما كان ممـا يلى بلاد العرب فـذنب صاحبـه مغفور ، وعـذره مقبول ،وأما ما كان مما يلى بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور وعـذره غير مقبول ؛ فإن أردت أن ننصرك ونمنعك مما يلى بلاد العرب فعلنـا •

قال النبى عليه الصلاة والسلام :

ـ ما أسأتم الرد إذ أفصحتم بالصـدق إنه لا يقوم بدين الله إلا من حاطـه من جميع جـوانبه • أرأيتم إن لم تلبثوا إلا يسيرا حتى يمنحكم الله بلادهم وأموالهم ويفرشكم بناتهم ، أتسبحون الله وتقـدسونه ؟

قال النعمان بن شريك : اللهم لك ذا ..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

- **(يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا * وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) .**

(الآية ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ سورة الأحزاب)

ثم أخـذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى أبى بكر وعلى بن أبى طالب .. ثم قال صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر يا على أية أخـلاق للعرب فى الجاهلية ؟ ما أشرفها ، بهـا يدافـع الله بأس بعضهم عن بعض ، وبهـا يتجاوزون فيما بينهم فى الحياة الدنيا .

ولقى النبى عليـه الصلاة والسلام رهطـا من خـزرج يثرب (أوس وخزرج) فعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن .. فأسلموا وبايعوا .. واشتدت عـداوة قريش ضراوة لمـا علموا أن الأنصار قـد بايعوا النبى عليه الصلاة والسلام على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ، وأنهم قبلوه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف .

وعاد كثير من مهاجرى الحبشة ..

وأذن النبى عليه الصلاة والسلام لأصحابه بالهجرة إلى يثرب فخرجـوا تحت جناح الليل أرسالا مستخفين مهاجرين فى سبيل الله ، وقـد تركوا أموالهم وديارهم وأهليهم فرارا بدينهم .

هجرته مـع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأذن الله لنبيه صلى الله عليه وسلم عند ذلك بالهجرة فذهب إلى بيت أبى بكر بالهاجرة فى ساعة كان لا يأتى فيها فقـد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخطىء أن يأتى بيت أبى بكر أحـد طرفى النهار إما بكرة وإما عشية .

فقال عامر بن فهيرة : هـذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا ..

فاستأذن النبى عليه الصلاة والسلام فأذن له وتنحى أبو بكر عن سريره فجلس النبى عليه الصلاة والسلام وقال : أخرج من عندك ..

فقال أبو بكر : لا عين عليك إنما هما ابنتاى ..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإنه قد أذن لى بالخروج ..
فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله بأبى أنت وأمى ..
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ..
فبكى أبو بكر الصديق سروراً ..

واستأجرا عبد الله بن اريقط ، وكان رجلا من بنى الديل بن بكر ، وكان مشركا ليدلهما على الطريق ليثرب . ودفع عامر بن فهيرة إلى ابن أريقط براحلتين لتكونا عنده يرعاهما لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر . (بعد ثلاث ليال على جبل ثور) .

وخرج النبى عليه الصلاة والسلام وأبو بكر من خوخة لأبى بكر فى ظهر بيته . ثم عمدا إلى غار ثور . وفى الطريق جعل أبو بكر يمشى ساعة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساعة خلفه حتى فطن النبى عليه الصلاة والسلام فقال :

— يا أبا بكر مالك تمشى ساعة خلفى وساعة بين يدى ؟

فقال أبو بكر :
— يا رسول الله أذكر الطلب فأمشى خلفك ثم أذكر الرصد فأمشى بين يديك ..
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
— يا أبا بكر لو كان شىء لأحببت أن يكون بك دونى ؟
قال أبو بكر الصديق : نعم والذى بعثك بالحق ..

فلما انتهيا إلى فم الغار قال أبو بكر للنبى عليه الصلاة والسلام :
— والذى بعثك بالحق لا تدخل حتى أدخله قبلك فإن كان فيه شىء نزل بى قبلك ..

فدخل أبو بكر ليستبرىء الغار ؛ فجعل يلتمس بيده كلما رأى جحرا قال بثوبه فشقه ثم ألقمه الجحر حتى فعل بجميع ثوبه فبقى جحر وكان فيه حية فوضع عقبه عليه . ثم قال : انزل يا رسول الله..

فنزل النبى عليه الصلاة والسلام . ووضع رأسه فى حجر أبى بكر ونام فلما أحست الحية التى فى الجحر بعقب أبى بكر جعلت تلدغه ..

ولمـا أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر : أين ثوبك ؟

فأخبره أبو بكر الخبر •• ولمـا رأى النبى عليه الصلاة والسلام على أبى بكر أثر الورم فسأله عنه ••

فقال أبو بكر : من لدغـة الحية ••

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هلا أخبرتنى ؟

قال أبو بكر : كرهت أن أوقظك فداك أبى وأمى ••

فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم محل اللدغـة فذهب ما به من الورم والألم •• ثم رفع النبى عليه الصلاة والسلام يديه وقال :

ــ اللهم اجعل أبا بكر معى فى درجتى فى الجنة ••

فأوحى الله تعالى إليه : قـد استجاب الله لك ••

وأمر أبو بكر الصـديق ابنه عبد الله أن يتسمع الناس فيهما نهاره ثم يأتيهما إذا أمسى بمـا يكون فى ذلك اليوم من الخبر • وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما إذا أمسى فى الغار • فكان عبد الله ابن أبى بكر يكون مـع قريش فى نهاره ويسمع ما يأتمرون به وما يقولون فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر • وكان عامر بن فهيرة يرعى فى رعيان أهل مكة فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبى بكر فاحتلبا وذبحا • فإذا غـدا عبد الله بن أبى بكر من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر إلى مكة اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم يعفّى عليه • وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأباها من الطعام إذا أمست بما يصلحهما •••

وبعث سادة قريش القافة[١٢] فى كل مكان يقفون آثر النبى عليه الصلاة والسلام ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم شجرة العشار أو أم غيلان ، وكانت أمام الغار فأقبلت حتى وقفت على باب الغار فسترته بفروعها (كانت مثل قامة الإنسان) وبعث الله العنكبوت فنسجت ما بين فروعها • وأمر الله تعالى حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار وباضتا وفرختا •

---

(١٢) القافـة : جمع قائف وهو الذى يقفو الأثر اى يتبعه .

ومشى أشراف قريش إلى جبل ثور وانتهوا إلى فم الغار ، ورأى أبو بكر قريشا أقبلت نحو الغار ومعهم القافة وسمع القائف يقول :

— والله ما جاز مطلوبكم من هـذا الغار ..

فحزن أبو بكر وبكى وقال هامسا :

— والله ما على نفسى أبكى ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره يا نبى الله ..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تحزن إن آلله معنا ..

فنظر أبو بكر إلى أقـدام المشركين وقال :

— يا رسول الله لـو أن أحـدهم نظر إلى قـدميه أبصرنا ...

قال النبى عليه الصلاة والسلام : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟

قال النضر بن الحارث : ادخلوا الغار ...

فتقـدم أميـة بن خلف نحـو فم الغـار فرأى العنكبوت والحمامتين الوحشيتين .. فرفع يديه وقال :

— وما أربكم إلى الغار إن عليه لعنكبوتا كان قبل ميلاد محمد ...

فقال أبو جهل بن هشام فى مرارة :

— أما والله إنى لأحسبه قريبا يرانا ولكن بعض سحره قد أخذ على أبصارنا ...

وأنزل الله تعالى :

(إلا تنصروه فقـد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم) (الآية ٤٠ سورة التوبة)

وجهزت أم رومان زوجة أبى بكر أحب جهاز (أسرعه) ووضعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبى بكر سفرة (زادا) فى جراب ، وكان فى السفرة شاة مطبوخة فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب وأبقت الأخرى نطاقا لهـا (ربطت فم القربة بالباقى) ولـما ذهبت إلى الغار ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعلت فسماها ذات النطاقين .. ثم قال : أبدلك آلله بنطاقك هـذا نطاقين فى الجنة ...

ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رغاء الإبل نزل من الغار هو وأبو بكر فوجد عامر بن فهيرة وعبد الله بن أريقط فركب النبى عليه الصلاة والسلام وركب أبو بكر وركب عامر بن فهيرة والدليل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند خروجه من مكة متوجها إلى يثرب :

— والله إنى لأخرج منك وإنى لأعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله وأكرمها على الله ، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت ...

ثم أردف النبى عليه الصلاة والسلام :

— الحمد لله الذى خلقنى ولم أك شيئا . اللهم أعنّى على هول الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالى والأيام . اللهم أصحبنى فى سفرى واخلفنى فى أهلى وبارك لى فيما رزقتنى ولك فذللنى ، وعلى صالح خلقى فقومنى ، وإليك رب فحببنى ، وإلى الناس فلا تكلنى . رب المستضعفين وأنت ربى أعوذ بوجهك الكريم الذى أشرقت له السماوات والأرض ، وكشفت به الظلمات ، وصلح عليه أمر الأولين والآخرين أن تحل على غضبك أو تنزل بى سخطك أعوذ بك من زوال نعمتك وفجأة نقمتك وتحول عافيتك وجمع سخطك .. لك العتبى عندى خير ما استطعت لا حول ولا قوة إلا بك ..

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يوم الاثنين .

وقال النبى عليه الصلاة والسلام لأبى بكر :

— ألْهِ الناس (أشغل الناس عنى ، وتكفل بالجواب لمن سأل عنى ، فإنه لا ينبغى لنبى أن يكذب) وأخذ الدليل (عبد الله بن أريقط) بهم على طريق الساحل ، وصار أبو بكر الصديق إذا سأله سائل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هذا الذى بين يديك ؟

فيقول أبو بكر : هذا الرجل يهدينى الطريق (يعنى طريق الخير) .

وكانت قريش قد أرسلت لأهل السواحل أن من قتل أو أسر رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أبا بكر كان له مئة ناقة (من قتلهما أو أسرهما كان له مائتان) .

وبينما سراقة بن مالك بن جعشم أمير بنى مدلج فى مجلس من مجالس قومه إذ أقبل رجل منهم حتى قام عليهم وهم جلوس .. وقال :

ـ يا سراقة إنى رأيت أسودة (أشخاصا) بالسواحل أراه محمدا وأصحابه ..
فعرف سراقة أنهم هم فأومأ إليه أن اسكت .. ثم قال سراقة :

ـ إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا (بمعرفتنا) يطلبــون ضــالّة لهم ...

ثم لبث فى المجلس ساعة ثم قام إلى منزله فأمر جاريته أن تخرج فرســه العــود خفية إلى بطن الوادى وتحبسها عليه ، وأخــذ سراقة رمحه وخرج به من ظَهر البيت فخطط بزجــه (الحــديدة التى تكون فى أسفل الرمح) الأرض وخفض عاليــه (أمسك بأعلاه ، وجعل أسفله فى الأرض ، لئلا يراه أحــد من قومه فيشاركه إذا قتل أو أسر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر) وركب فرسه ففرت به حتى دنا من النبى عليه الصلاة والسلام وأبى بكر وعامر بن فهيرة والدليل ، فعثرت بسراقة فرسه فخرّ عنها فقام وأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها الأزلام فاستقسم بها فخرج السهم الذى يكره (لا يضره) فركب فرسه وعصى الأزلام فجعل فرسه تقرب به حتى سمع قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهــو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات . فلمــا كان بينه وبينهم قيد (مقــدار رمح أو ثلاثة) قال أبو بكر :

ـ يا رسول الله هــذا الطالب قــد لحقنا ...

وبكى أبو بكر .. واستطرد :

ـ أما والله ما على نفسى أبكى ولكن أبكى عليك ...

صاح سراقة وقال : يا محمد من يمنعك منى اليوم ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يمنعنى الجبار الواحد القهار ...

ونزل جبريل عليه السلام وقال :

ـ يا محمد إن الله عز وجل يقول : جعلت الأرض مطيعة لك فأمرها بما شئت ...

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ارض خــذيه ...

فأخــذت الأرض أرجل فرس سراقة فساخت (غابت) يداها وكانت الأرض جلدة فخر سراقة عنها .

وزجرها فلم تنهض فعرف سراقة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قــد منع فقال :

ــ يا محمد ، قــد علمت أن هــذا عملك فادع الله ينجينى ممــا أنا فيه ، ولك علىّ أن أرد عنــك الطلب .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أرض أطلقيه ...

فأطلقت الفرس .. ولكن سراقة تبعهم فساخت قوائم فرسه فى الأرض حتى بلغتا جزءا من بطنها فخر عنها ، وساق سراقة فرسه فلم تتحرك .. فقال سراقة :

ــ يا محمد الامان وعزة العزى لــو أنجيتنى لاكونن لك لا عليك ..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رافع يديه إلى السماء :

ــ اللهم إن كان فيما يقول فأطلق له جواده ..

فأطلق الله تعالى له قوائم فرسه حتى وثب على الأرض سليما .. فوقع فى نفسه حين لقى من الحبس عنهم أن سيظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقــال لــه :

ــ يا محمد إن قــومك قــد جعلوا فيك الدية (مائة ناقة) .

يقــول سراقة : وأخبرتهم أخبار ما يريد النــاس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتــاع ..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : أخْــفِ عنــا ...

فقال سراقة بن مالك :

ــ يا محمد إنى لأعلم أنه سيظهر أمرك على العالم وتملك رقاب الناس فعاهدنى أنى إذا أتيتك يوم مُلكك فأكرمنى ..

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عامر بن فهيرة فكتب لسراقة بن مالك رقعة من أدم ثم ألقاها إليه فرجع إلى مكة وجعل لا يلقى أحــدا من الطلب إلا رده وقال :

ــ كفيتم هــذا الوجه ... قــد عرفتم بصرى بالطريق وقــد سرت فلم أر شــيئا فارجعــوا ...

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيمة أم معبد (عاتكة بنت خلفة بن معبد بن ربيعة بن أصرم) الخزاعية فأرادوا القرى (لحماً أو تمراً) .

فقالت أم معبد :

ـــ والله ما عندنا طعام ، ولا لنا منحة ولا لنا شاة إلا حائل ، والله لو كان عندنا شيء ما أعوزناكم ..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـــ يا أم معبد هل عندك من لبن ؟

قالت أم معبد : لا والله ..

فرأى النبى عليه الصلاة والسلام شاة خلفها الجهد عن الغنم (لم تطق اللحاق بها لما بها من الهزال) فتساءل رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـــ هل بها من لبن ؟

قالت أم معبد : هى أجهد من ذلك ..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتأذنين فى حلابها ؟

قالت أم معبد :

ـــ والله ما ضربها من فحل قط .. فشأنك (أصلح شأنك) بها إن رأيت منها حلبا فاحلبها .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معبدا وكان صغيرا فقال له :

ـــ ادع هذه الشاة ..

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا غلام هات فرقا ..

فمسح النبى عليه الصلاة والسلام بيده ضرعها وظهرها وسمّى الله تعالى وقال : اللهم بارك فى شاتنا ..

فدرت واجترت وتفاجت (فتحت ما بين رجليها للحليب) . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بإناء يُربِضُ (يرويهم) .

فحلب فيها ثجاً (بقوة لكثرة اللبن فعلاه البهاء) فسقى النبى عليه الصلاة والسلام أم معبد فشربت حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رووا علا

بعــد نهل (مرة ثانية بعــد الأولى) ثم شرب صلى الله عليــه وسلم فكان آخرهم شربا وقال عليه الصلاة والسلام :

– ســاقى القــوم آخرهم شربا ..

ثم حلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وغادره .

ولمــا جاء زوج أم معبد (أبو معبد) عند المساء يسوق أعنزا عجافا ورأى اللبن الذى حلبه رسول الله صلى الله عليه وسلم عجب وقال :

– يا أم معبد ما هــذا اللبن ولا حلوب فى البيت ؟ (الشاة عازب) .

فقالت أم معبد : مر بنا رجل مبارك ..

قال أبو معبد : صــفيه ..

قالت أم معبــد :

– رأيت رجلا ظاهر الوضاءة متبلج الوجه (مشرقه) فى أشفاره (أجفــان عينيه) وَطَف (طول) وفى عينيه دعج (شــدة سواد فى شــدة بياض) وفى صوته صحل (بحــة أى ليس حاد الصوت) غصن بين الغصنين ، لا تشنؤه من طول (لا تبغضه لفرط طوله) ولا تقتحمه من قصر (لا تحتقره من قصر) ولم تعبه ثجلة (عظم البطن وكبرها) ولم تزر به صعلة (صغر الرأس) كأن عنقه إبريق فضة (السيف الشديد البريق) إذا نطق فعليه البهاء ، وإذا صمت فعليه الوقار ، له كلام كخرزات النظم ، أزين أصحابه منظرا ، وأحسنهم وجها ، يحفون به إذا أمر ابتدروا أمره وإذا نهى انتهوا عند نهيه ..

فقال أبو معبــد :

– هــذا والله صــاحب قريش الذى تطلب ، ولــو صادفتــه لالتمست أن أصحبه ولأجهدن إن وجــدت إلى ذلك سبيلا .

وعلم بريدة بن الخصيب الأسلمى ما جعلته قريش لمن يأخــذ النبى عليه الصلاة والسلام ، فطمع فى ذلك وخرج هــو وسبعون من أهله فلمــا رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله :

– من أنت ؟

قال : بريدة بن الخصيب ..

فالتفت النبى عليه الصلاة والسلام وقال : يا أبا بكر برد أمرنا وصلح ..

وتساءل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ممن أنت ؟

قال بريدة بن الخصيب : من أسلم من بنى سهم ..

فالتفت النبى عليه الصلاة والسلام لأبى بكر وقال :

ــ سلمنا إن شاء الله تعالى ، وخرج سهمك يا أبا بكر (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفاءل ولا يتطير) .

وقال بريدة بن الخصيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : من أنت ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام :

ــ أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله ...

فقال بريدة بن الخصيب :

ــ أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ..

فأسلم بريدة بن الخصيب وكل من كان معه وصلوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء الآخرة .

ثم قال بريدة بن الخصيب : يا رسول الله لا تدخل يثرب إلا ومعك لواء ..

فحل بريدة عمامته ثم شدها فى رمح ومشى بين يدى النبى عليه الصلاة والسلام .. ثم تساءل بريدة : تنزل علام يا نبى الله ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ناقتى هذه مأمورة .

فقال بريدة بن الخصيب :

ــ الحمد لله الذى أسلمت بنوسهم (يعنى قومه) طائعين غير مكرهين ..

ولقى الزبير بن العوام رسول الله صلى الله عليه وسلم (كان الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام) فكسا الزبير النبى عليه الصلاة والسلام وأبا بكر بثياب بياض ...

وإذا رجل من اليهود صعد على أطم (محل مرتفع من آطامهم) فرأى موكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته :

ــ يا معشر العرب هــذا جــدكم (حظكم الذى تنتظرون) .

فاستقبله صلى الله عليه وسلم زهاء خمسمائة من الأنصار فقالوا :

ــ اركبــا آمنين مطاعين ..

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء فى دار بنى عمرو بن عــوف فى يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول على كلثوم بن الهدم (كان شيخ بنى عمرو بن عــوف) وكان يومئذ مشركا ثم أسلم (أسلم قبــل وصول رسول الله صلى الله عليه وسلم يثرب وكان بطنا من بطون الأوس) .

وكان أبو بكر الصــديق وبلال بن رباح وعامر بن فهيرة فى بيت واحــد ، فأصابتهم الحمى فقــد كانت يثرب وبيئة فأصاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بها بلاء وسقم حتى أجهــدهم ذلك (وصرف الله ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم) حتى جهدوا ، وكانوا يصلون وهم قعود فلما رآهم النبى عليه الصلاة والسلام قال :

ــ أعلموا أن صلاة القاعــد على النصف من صلاة القائم ..

فتجشم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم التماس الفضل ..

ودخلت أم المؤمنين عائشة على أبيها أبى بكر وعامر بن فهيرة وبلال موليى أبى بكر تعــودهم وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوعــك فــدنت من أبيها أبى بكر وقالت :

ــ كيف تجــدك يا أبت ؟

فقال أبو بكر :

كل امرىء مصبح فى أهــــله والموت أدنى من شراك نعــله

فقالت عائشة : والله ما يدرى أبى ما يقول ..

ثم دنت إلى عامر بن فهيرة وقالت : كيف تجــدك يا عامر ؟

قال عامر بن فهيرة :

لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه

كل امرىء مجاهد بطوقه كالثور يحمى جلده بروقه

فقالت عائشة : والله ما يدرى ما يقول ..

وكان بلال إذا أدركته الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته فقال :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بفج وحولى اذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل

ثم قال بلال بن رباح :

– اللهم العن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا إلى أرض الوباء ..

فذكرت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعت من أبى بكر وعامر بن فهيرة وبلال بن رباح وقالت :

– إنهم نيهذون وما يعقلون من شدة الحمى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

– اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشد وبارك لنا فى مُدّها وصاعها ، وانقل وباءها إلى مهيعة الجحفة (وهى قرية كان بها حينئذ يهود على اثنين ومائتين ميلا من مكة) فإذا بالمدينة تعود أصح بلاد الله ..

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار زيد بن سهل (أبو طلحة) وأرسل يستدعى أصحابه من المهاجرين والأنصار ليؤاخى بينهم على المواساة والحق .. فأقبل خمسون من المهاجرين وخمسون من الأنصار .

فقال النبى عليه الصلاة والسلام لهم :

– إنى محدثكم بحديث فاحفظوه وعوه ، وحدثوا به بعدكم : إن الله تعالى اصطفى من خلقه خلقا ثم تلا (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن

الناس) وإنى أصطفى منكم من أحب أن أصطفيه وأواخى بينكم كما اخى الله تعالى بين الملائكة • قم يا أبا بكر •

فقام أبو بكر الصديق فجثا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

– إن لك عندى يدا الله يجزيك بها ، ولو كنت متخذا خليلا لاتخذتك فأنت منى بمنزلة قميصى من جسدى •

ودعا النبى عليه الصلاة والسلام خارجة بن زيد وكان صهرا لأبى بكر (كانت ابنته تحت أبى بكر) •

وقال صلى الله عليه وسلم : تآخوا فى الله أخوين أخوين •

وآخى بين أبى بكر وخارجة بن زيد •

ولما اطمأنت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وألف الله بين قلوب الأوس والخزرج بعد سنوات من الحرب والثأر والعداوة •• بعث النبى عليه الصلاة والسلام السرايا لتتحسس أخبار قريش •

أبو بكر •• المقاتل

كان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وزيرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستشيرهما فى كثير من الأمور •• قال النبى عليه الصلاة والسلام :

– أتانى جبريل فقال لى : إن الله أمرك أن تستشير أبا بكر •

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

– إن الله أيدنى بأربعة وزراء اثنين من أهل السماء جبريل وميكائيل واثنين من أهل الأرض أبى بكر وعمر •

فهل اقتصر دور أبى بكر على إبداء الرأى و •• ؟ لقد كان سباقا إلى حمل السيف والجهاد فى سبيل الله عز وجل •

يوم بدر

علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عيرا لقريش قدم بها أبو سفيان ابن حرب من الشام ••

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

– هـذا أبو سفيان قافلا بتجارة قريش فاخرجوا لهـا لعـل الله عز وجل ينفلكمـوها .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فخف معه رجال وأبطأ آخرون ، وذلك إنما كانت ندبة لمـال يصيبونه ، وكان أصحاب النبى عليـه الصلاة والسلام ثلاثمائة راكب ونيف ، وأكثر أصحاب النبى عليـه الصلاة والسلام مشاة معهم ثمانون بعير وفرس (كان للمقـداد بن عمرو ، وقيل للزبير بن العـوام) .

ولمـا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بوادى ذقار وأتاه الخبر من قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فقال النبى عليه الصلاة والسلام لأصـحابه :

– إن القوم قـد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فما تقولون ؟ ألعـير أحب إليكم من النفير ؟

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيرأصحابه بين الغنيمة والحرب ..

قالت طائفة من أتباع النبى عليه الصلاة والسلام :

– بل العير أحب إلينا من لقاء العـدو ..

وقالت طائفة أخرى :

– هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له ؟ إنا خرجنا للعير ..

وقال آخرون : يا رسول الله عليك بالعير ودع العـدو .

ورأى أبو بكر الصديق فى وجـه حبيبه صلى الله عليه وسلم الحزن ؛ فقام وقال وأحسن ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن وتحـدث المقـداد بن عمرو وسـعد بن معـاذ .

فأشرق وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد بن معاذ .. فقال :

– سيروا وأبشروا فإن الله تعالى وعـدنى إحـدى الطائفتين ، والله لكأنى أنظر الآن إلى مصارع القـوم .

ووقف أبو بكر ومعه سيفه أمام عريش (قبـة) رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلمـا رأى قريشا ألف رجل (كثير عـددهم شديد بأسهم) وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا أخـذ صلى الله عليه وسلم يدعـو ربه :

ـ اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدا .. فأخـذ أبو بكر الصديق بيده وقال مترفقا :

ـ حسبك حسبك يا رسول الله فقـد ألححت على ربك ...

فخرج النبى عليه الصلاة والسلام وهو يقول :

ـ **(سيهزم الجمع ويولون الدبر * بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) .**
(الآية ٤٥ ، ٤٦ سورة القمر)

ثم استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلة ومد يديه فجعل يهتف (يصيح) بربه حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر فأخـذه فألقـاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه فقال :

ـ يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعـد .

فأنزل الله عز وجل :

(إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين) .
(الآية ٩ سورة الأنفال)

والتقى الجمعان .. فراحت السيوف تطعن القلوب وتطيح بالرءوس . وأخـذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه فى عريشه :

ـ اللهم أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدا .

وخفق النبى عليه الصلاة والسلام خفقة .. ثم انتبه وقال :

ـ أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله ؛ هـذا جبريل آخـذ بعنان فرسه يقـوده على ثناياه النقع (الغبار) .

ونصر الله نبيه وهزم المشركين فولوا الأدبار بعـد أن تركوا على أرض بدر جثث أئمـة الكفر .. وساق المسلمون أسارى قريش أمامهم كما تساق الإبـل .

وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعليا وعمر :

ـ ما ترون فى هؤلاء الأسارى ؟

فقـــال أبو بكر :

– يا نبى الله هم بنو العم والعشيرة ، أرى أن تأخــذ منهم فــدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهــديهم للإسلام •

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما ترى يا ابن الخطاب ؟

قـــال عمـــر :

– لا والله يا رسول الله ما أرى الذى رأى أبو بكر ، ولكن أرى أن تمكننا فنضرب أعناقهم ، فتمكن عليا من عقيل (ابن أبى طالب) وتمكننى من فلان (نسيبا لعمر) فأضرب عنقه فإن هؤلاء أئمـــة الكفر وصناديدها •

فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقترب أبو بكر منه وقال :

– بأبى أنت وأمى قـــومك فيهم الآباء والأبناء والعمومة والإخوان وبنـــو العم ، وأبعـــدهم منك قريب فامنن عليهم أوفادهم • هم عشيرتك وقومك لا تكن أول من يستأصلهم ، وأن يهـــديهم الله خير من أن يهلكهم •

فسكت النبى عليه الصلاة والسلام فـــدنا عمر منه وقال :

– يا رسول الله ما تنتظر بهم ؟ اضرب أعناقهم يوطىء الله بهم الإسلام ويذل أهل الشرك ، هم أعـــداء الله ، كذبوك وأخرجوك • يا رسول الله • اشف صـــدور المؤمنين ، لـــو قـــدروا منا على مثل هـــذا ما أقالونا أبدا •

ثم قام النبى عليه الصلاة والسلام فدخل داره فمكث فيها ســـاعة فقال بعض الناس :

– القـــول ما قال أبو بكر ••

وقال آخرون : القـــول ما قال عمـــر ••

وخرج النبى عليه الصلاة والسلام فقال للناس :

– ما تقولون فى صاحبيكم هـــذين (أبى بكر وعمر) ؟ دعوهما فإن لهمـــا مثلا ، مثل أبى بكر فى الملائكة كمثل ميكائيل ينزل برضا الله وعفوه على عباده ، ومثله فى الأنبياء كمثل إبراهيم كان ألين على قـــومه من العسل أوقـــد له قومه النـــار فطرحوه فيها فمـــا زاد على أن قال (أف لـــكم

ولمـا تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) • وقال : (فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم) • وكعيسى إذ يقول : (إن تعـذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) • ومثل عمر فى الملائكة كمثل جبريل ينزل بالسخط من الله والنقمة على أعـداء الله ، ومثله فى الأنبياء كمثل نوح ، كان أشـد على قـومه من الحجارة إذ يقول : (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) فدعـا عليهم دعوة أغرق الله بها الأرض جميعا ، ومثل موسى إذ يقول : (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العـذاب الأليم) • وإن بكم عيلة فلا يفوتنكم رجل من هؤلاء إلا بفـداء أو ضربة عنق •

يـوم أحـد والخنـدق

لمـا دار العام أقبلت قريش بعـددها وعـدتها لتثأر ليوم بدر •• فالتقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين عنـد أحـد •• وخرج عبد الرحمن بن أبى بكر من بين صفوف قريش وطلب المبارزة فلم ينتظر أبو بكر فقام إليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ــ يا أبا بكر شم سيفك ومتعنا بنفسك •

لقـد خرج أبو بكر عن شهواته النفسية ونسى أنه أب وأراد أن يقتـل ابنه المشرك • يقول عبد الرحمن بن أبى بكر بعـد أن شرح الله صـدره للإسلام لأبيه : رأيتك يوم أحـد فصدفت (أعرضت) عنك فقال أبو بكر : لكنى لـو رأيتك ما صـدفت عنك •

وخالف الرماة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلوا الجبل فانكشف ظهر المسلمين ونزلت بهم الهزيمة فلجأ النبى عليه الصلاة والسلام هـو وأبو بكر وعمر وعلى وعثمان ونفر قليل فرجف جبل أحـد بهم فقال له النبى عليه الصـلاة والسـلام :

ــ اثبت فما عليك إلا نبى وصديق (أبو بكر) وشهيد (عثمان) ••

وأنزل الله قوله (وشاورهم فى الأمر) فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر • وشهد أبو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة الخندق وبنى قريظة •

وذات ضحى جلس النبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه فى مسجده فقال النبى عليه الصلاة والسلام : من أصبح منكم صائما ؟

قال أبو بكر الصديق : أنا ..

فتساءل رسول الله صلى الله عليه وسلم : من تصدق بصدقة ؟

قال أبو بكر : أنا ..

قال النبى عليه الصلاة والسلام : من شهد جنازة ؟

قال أبو بكر الصديق : أنا .

فسأل النبى عليه الصلاة والسلام : من أطعم اليوم مسكينا ؟

قال أبو بكر : أنا ..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

– من جمعهن فى يوم واحد وجبت له (غفر له) .

وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فى مسجده حتى طلعت الشمس فقال لأصحابه :

– يأتى قوم يوم القيامة نورهم كنور الشمس ..

فقال أبو بكر : نحن هم يا رسول الله ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام :

– لا ولكم خير كثير ، ولكنهم الفقراء المهاجرون الذين يحشرون من أقطار الأرض ..

صلح الحديبية

رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم أنه دخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رءوسهم ومقصرين (بعضهم محلق وبعضهم مقصر) وأنه دخل البيت وأخذ مفتاحه وعرَّف مع المعرفين (طاف هو وأصحابه) .

فأخبر النبى عليه الصلاة والسلام أصحابه أنه يريد الخروج للعمرة .. فتجهزوا للسفر .

وفى عام ستة بعــد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـــ فى ذى القعدة ـــ استنفر النبى عليه الصلاة والسلام العرب ومن حوله من أهل البوادى من الأعراب إلى العمرة ، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم • وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه خمسمائة من أصحابه ، ولم يخرج معه بسلاح إلا سلاح المسافر : السيوف فى القرب ، وساق معه سبعين بدنة فيهــا جمل أبى جهل الذى غنمه يوم بدر •

ولمــا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان لقيه بشر بن ســـفيان الكعبى وقال :

ـــ يا رسول الله هــذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل (النوق ذات اللبن معها أولادها أو النساء معهن أطفالها) قــد لبسوا جلود النمور ،وقــد نزلوا بذى طوى يعاهــدون الله لا تدخلها عليهم أبدا • وهــذا خالد بن الوليد فى خيلهم قــد قــدموا إلى كراع الغميم ••

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـــ يا ويح قريش قــد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب فإن أصابونى كان ذلك الذى أرادوا ، وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ؟ فوالله لا أزال أجاهــد على هــذا الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هــذه السالفة (صفحة العنق) •

ثم استطرد رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـــ من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التى هم بها ؟

فقال ناجية بن جندب الأسلمى : أنا يا رسول الله ••

فسلك بالمسلمين طريقا وعرا أجدل (كثير الحجارة) بين شعاب حتى نال منهم الجهــد • فلما خرجوا منه إلى أرض سهلة عند منقطع الوادى طلب منهم النبى عليه الصلاة والسلام أن يستغفروا الله ويتوبوا إليه •

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال :

ـــ اسلكوا ذات اليمين بين ظهرى الحمض ••

ونزل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بأقصى الحديبية • ولما اطمأن أتاه بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من خزاعة فقالوا :

ــ ما الذى جاء بك ؟

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

ــ إنا لم نأت لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن شاءوا مددناهم (جعلنا بيننا وبينهم مدة نترك الحرب فيها) مدة ويخلوا بينى وبين الناس فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جموا (استراحوا) فوالله لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى أو لينفذن الله أمره ••

فقال بديل بن ورقاء : سأبلغهم ما تقول ••

فبعثت قريش مكرز بن حفص أخا بني عامر بن لؤى فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هذا رجل غادر •••

فلما انتهى مكرز إلى النبى عليه الصلاة والسلام وكلمه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحواً مما قال لبديل بن ورقاء الخزاعى وأصحابه ، فعاد مكرز إلى قريش فبعثت بحليس بن علقمة سيد الأحابيش فلما رآه النبى عليه الصلاة والسلام قال :

ــ إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه ••

فلما رأى الحليس الهدى يسيل عليه من عرض الوادى فى قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله • واستقبله الناس يلبون قد شعثوا فقال الحليس :

ــ سبحان الله ما ينبغى لهؤلاء أن يصدوا عن البيت ؛ أبى الله أن يحج لخم وجذام ونهد وحمير ويمنع ابن عبد الله ؟ هلكت قريش ورب الكعبة إنما القوم أتوا عماراً ••

ورجع الحليس إلى قريش بعد أن لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثت قريش عروة بن مسعود الثقفى فجلس بين يدى النبى عليه الصلاة والسلام وقال :

ـ يا محمد اجمعت أوشاب الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها بهم ؟
إن قريشا قـد خرجت معها العـوذ المطافيل قـد لبسوا جلود النمـور يعاهـدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبدا ، وأيم الله لكأنى بهؤلاء قـد انكشفوا عنـك غـدا ..

فقال أبو بكر الصديق : امصص بظر اللات أنحن ننكشف عنه ؟

فتساءل عروة بن مسعود : من هـذا يا محمد ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هـذا ابن أبى قحافة ..

فقال عروة : أما والله لولا يد كانت عندى لكافأتك بها ولكن هذه بهذه ..

ورأى عروة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفحل عجبه ، لقـد جاء كسرى فى ملكه وقيصر فى ملكه والنجاشى فى ملكه فلم ير ملكا فى قومه قط مثل النبى عليه الصلاة والسلام فى أصحابه . فرجع إلى قريش وطلب منهم أن يقبلوا ما عرض عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا :

ـ لا تتكلم بهذا يا أبا يعفور ، ولكن نرده عامنا هذا ويرجع إلى قابل ..

وبعث النبى عليه الصلاة والسلام خراش بن أمية الخزاعى إلى مكة وحمله على بعير لـه يقال لـه الثعلب ليبلغ أشراف قريش عنه ما جاء لـه فعقروا جمل النبى عليه الصلاة والسلام وأرادوا قتله فمنعه الحليس بن علقمة سـيد الأحابيش ، فخلوا سبيل خراش بن أمية فعاد إلى رسول الله صلى الله عليه وسـلم .

وأرسل النبى عليه الصلاة والسلام عثمان بن عفان إلى مكة ليخبر سادة قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأت لحرب وإنما جاء زائرا معظما لهـذا البيت . فذهب عثمان إلى مكة . وبلغ النبى عليه الصلاة والسلام أن عثمان بن عفان قـد قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ لا نبرح حتى نناجز القـوم ..

ودعا النبى عليه الصلاة والسلام الناس إلى البيعة . فكانت بيعـة الرضوان تحت الشجرة . وكان أول من بايع النبى صلى الله عليه وسلم أبو سنان الأسدى . ولم يتخلف عنه صلى الله عليه وسلم إلا الجـد بن قيس أخـو بنى سلمة ألصق جسده بابط ناقته يستتر إليها من الناس ..

ولما علمت قريش أن أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام قد بايعوه بيعة الرضوان (بايعوه على ألا يفروا) فخافت قريش وبعثت سهيل بن عمرو أخا بنى عامر وقالت له :

— ائت محمدا وصالحه ؛ ولا يكن فى صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا فوالله لا تتحدث العرب أنه دخلها عنوة أبدا ..

فلما أتى سهيل بن عمرو ورآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال :

— قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل ..

ولما انتهى سهيل إلى النبى عليه الصلاة والسلام تكلم فأطال الكلام وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح .

ولما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب وأتى أبا بكر وقال :

— يا أبا بكر أليس برسول الله ؟

فقال أبو بكر : بلى .

قال عمر بن الخطاب : أو لسنا بالمسلمين ؟

قال أبو بكر : بلى .

قال عمر : أو ليسوا بالمشركين ؟

قال أبو بكر : بلى .

قال عمر بن الخطاب : فعلام نعطى الدنية فى ديننا ؟

قال أبو بكر :

— يا عمر الزم غرزه (اتبع أمره ولا تخالفه) فإنى أشهد أنه رسول الله ..

فقال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ..

ثم أتى عمر النبى عليه الصلاة والسلام وقال :

— يا رسول الله ألست برسول الله ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : بلى ..

قال عمر بن الخطاب : أو لسنا بالمسلمين ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بلى .

قال عمر : أو ليسوا بالمشركين ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : بلى ..

فتساءل عمر بن الخطاب : فعلام نعطى الدنية فى ديننا ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ــ أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى ..

وتم الصلح على ألا يدخل المسلمون مكة هذا العام ويعودوا من حيث كانوا إلى العام القابل . وعلى أن تخلى لهم قريش مكة ثلاثة أيام يطوفون فيها بالبيت الحرام ، وعلى ألا يحملوا معهم سوى سلاح الراكب ، السيوف فى القرب، وعلى أن يتهادنوا (يتهادن الطرفان ويكفا عن الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس) ومن أحب أن يدخل فى عقد محمد دخل فيه (دخلت خزاعة فى عقده وعهده) ومن أراد أن يدخل فى عقد قريش دخل فيه (تواثبت بنو بكر فقالوا : نحن فى عقد قريش وعهدهم) وعلى أن من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم . ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه ..

ولما فرغ الصلح قام النبى عليه الصلاة والسلام إلى هديه فنحره ثم جلس فحلق رأسه (كان خراش بن أمية بن الفضل الخزاعى الذى حلق رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم) فلما رأى المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون ..

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة .

وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث الرسل إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام فقال :

ــ لقد هممت أن أبعث رجالا من أصحابى إلى ملوك الأرض يدعونهم إلى الإسلام كما بعث عيسى بن مريم الحواريين ..

فقال أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام وهم ينظرون نحو أبى بكر وعمر ابن الخطاب :

ــ ألا تبعث أبا بكر وعمر فهما أبلغ ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ــ لا غنى بى عنهما إنما منزلتهما من الدين كمنزلة السمع والبصر من الجسد .

وشهد أبو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح حصون خيبر وعمرة القضاء .

يوم الفتح

نامت العداوة التى كانت بين قريش وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو السبعة أو الثمانية عشر شهرا فرأت بنو بكر أن تستعين بقريش للثأر من خزاعة . وبينما كان الخزاعيون آمنين لا يخشون غدرا على ماء لهم يقال له الوتير قريبا من مكة ، وإذ بنو بكر ومعهم رجال من قريش متنكرين ومنقبين فبيتوا خزاعة ليلا وهم غافلون فقتلوا منهم رجالا . فانطلق عمرو بن سالم إلى المدينة فلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بما كان من أمر خزاعة وبنى بكر بالوتير . فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

— نصرت يا عمرو بن سالم .

وذاع فى مكة أن صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى ، وعكرمة بن أبى جهل وشيبة بن عثمان ، وسهيل بن عمرو قد اشتركوا مع بنى بكر فى الغدر بخزاعة . فخشيت قريش أن يبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم (فمظاهرتهم لبنى بكر نقض صريح لصلح الحديبية) وقد يهيج ذلك الحدث المسلمين ويحركهم للسير إلى مكة . فندموا على ما فعلوا وبعثوا أبا سفيان بن حرب إلى المدينة فدخل على ابنته أم المؤمنين أم حبيبة (رملة بنت أبى سفيان) فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته وقالت :

— فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراشه .

فقال أبو سفيان بن حرب : يا بنية والله لقد أصابك شىء بعدى .

ثم خرج فأتى النبى عليه الصلاة والسلام فكلمه فلم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم ذهب أبو سفيان إلى أبى بكر الصديق فكلمه أن يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر : ما أنا بفاعل .

ورجع أبو سفيان بن حرب إلى مكة خائبا دون أن يشد رسول الله صلى الله عليه وسلم العقد ويزيد فى المدة .

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته وأمر عائشة أن تجهزه وتخفى ذلك • ثم خرج النبى عليه الصلاة والسلام إلى المسجد فدخل أبو بكر على عائشة فوجـد عندها حنطة تنسف وتنقى فقال أبو بكر :

– يا بنية لم تصنعين هـذا الطعام ؟

فسكتت عائشة • فقال أبو بكر :

– أيريد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغزو ؟

فصمتت • فقال أبو بكر : يريد بنى الأصفر ؟ (الروم) ؟
فصمتت • فقال أبو بكر : فلعله يريد أهل نجـد ؟
فصمتت عائشة • فقال أبو بكر : فلعله يريد قريشا ؟

فصمتت • فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر :

– يا رسول الله أتريد أن تخرج مخرجا ؟
فقال النبى عليه الصلاة والسلام : نعم •
فقال أبو بكر : فلعلك تريد بنى الأصفر ؟
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا •
تساءل أبو بكر : أتريد أهل نجـد ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا •
فقال أبو بكر : فلعلك تريد قريشا •
قال النبى عليه الصلاة والسلام : نعم •
قال أبو بكر : يا رسول الله أليس بينك وبينهم مدة ؟
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألم يبلغك ما صنعوا ببنى كعب ؟

ودخل عمر بن الخطاب فسمع أبا بكر يقول :
– هم قـومك ••

فلمـا علم عمر أن النبى عليه الصلاة والسلام قـد عزم على السير إلى مـكة قـال :

– هم رأس الكفر ، زعموا أنك ساحر وأنك كذاب ، وأيم الله لا تذل العرب حتى تذل أهـل مكة •

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وطوى عنهم الوجه

الذى يريده وأرسل إلى أهــل البادية ومن حوله من المسلمين فى كل ناحيه رســـلا يقـــولون :

ـــ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة •

فقــدمت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبائل العرب : أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة •• حتى إذا ما اكتمل عقــد المسلمين أعلم النبى عليه الصلاة والسلام الناس أنه سائر إلى مكة •• ثم قال :

ـــ اللهم خــذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها • اللهم خــذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا إلا بغتة ولا يسمعون بنا إلا فجأة •

وخرج جيش المسلمين (كان أكثر من عشرة آلاف رجل) لعشر مضين من رمضان سنة ثمان من الهجرة • واستجاب الله عز وجل لدعوة نبيه صلى الله عليه وسلم فأخــذ على سمع وأبصار قريش فلم يروا النبى عليـــه الصلاة والسلام وأصحابه إلا فجأة •• ودخل مكة لثلاث عشرة بقين من رمضان •

وأتى أبو بكر بأبيه يقوده فلمـــا رآه النبى عليه الصلاة والسلام قال :

ـــ هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه فيه ؟

فقال أبو بكر : يا رسول الله هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى إليه أنت •

فأجلســه بين يديه ثم مسح صـــدره • ثم قال له : أسلم •

فنطق أبو قحافة بشهادة الحق • ففرح أبو بكر باسلام أبيه وقال :

ـــ والذى بعثك بالحق لإسلام أبى طالب كان أقر لعينى من إسلامه • وذلك لأن إسلام أبى طالب كان أقر لعينك ••

وذات يوم لقى أبو بكر الصديق عمر بن الخطاب وكانت بينهما محـــاورة فأغضب أبو بكر عمر بن الخطاب فانصرف عنه مغضبا فأتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له فلم يفعل حتى أغلق بابه فى وجه أبى بكر • ثم ندم عمر بن الخطاب فأتى منزل أبى بكر فسأل :

ـــ أثم أبو بكر ؟

فقالـــوا : لا ••

وانطلق أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخــذ بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمـــا رآه :

ـ أما صاحبكم فقـد غامر ..

فسلم أبو بكر وقال :

ـ يا رسول الله إنى كان بينى وبين عمر شىء فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لى فأبى على فأقبلت إليك .

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

ـ يغفر الله لك يا أبا بكر . يغفر الله لك يا أبا بكر . يغفر الله لك يا أبا بكر .

وقـدم ابن الخطاب على ما كان منه من الغضب فسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل وجهه يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيـه فقـال :

ـ يا رسول الله والله أنا كنت أظلم . يا رسول الله والله أنا كنت أظلم ..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

ـ إن الله أرسلنى إليكم فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدق . وواسانى بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركون لى صاحبى ؟ فهل أنتم تاركون لى صاحبى ؟ .

يقول عبد الله بن عمر :

ـ كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة قـد خللها فى صـدره بخلال فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال :

يا محمد مالى أرى أبا بكر عليه عباءة قـد خللها فى صـدره بخلال ؟ فقال : يا جبريل أنفق ماله علىّ قبل الفتح قال : إن الله تعالى يقرأ عليه السلام ، ويقول : قل له : أراضٍ أنت عنى فى فقرك هـذا أم ساخط ؟ فقال أبو بكر : أسخطُ على ربىّ ؟ أنا عن ربى راض . أنا عن ربى راض . أنا عن ربى راض .

وبينما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا مع جبير بن مطعم أتت امرأة إلى النبى عليه الصلاة والسلام تسأله شيئا فقال لهـا :

ـ ارجعى إلى ..

فقالت المرأة :

— فإن رجعت فلم أجـدك يا رسول الله ؟ (كأنها تقول : تعرض بالموت) .

فقال لهـا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

— فإن رجعت ولم تجـديني فأتي أبا بكر ..

يقول محمد بن سيرين :

— لم يكن أحـد بعـد النبي أهيب لمـا لا يعلم من أبي بكر ، ولم يكن أحـد بعـد أبي بكر أهيب لمـا لا يعلم من عمر ، وإن أبا بكر كان إن نزلت به قضية لم نجـد لها في كتاب الله أصلا ولا في السنة أثرا قال : أجتهد رأيي فإن يكن صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمني وأستغفر الله .

وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يسمع نفرا منهم وهم يقرءون القرآن ويفقههم في الدين فقال عمرو بن العاص :

— يا رسول الله أي الناس أحب إليك ؟

قال النبي عليه الصلاة والسلام : عائشة ..

قال عمرو بن العاص : من الرجال ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبوها (يعني أبا بكر) .

فقال عمرو بن العاص : ثم من ؟

قال النبي عليه الصلاة والسلام : ثم عمر بن الخطاب .

يـوم تبـوك

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالتهيؤ إلى غزو الروم فقال عليه الصلاة والسلام :

— أيها النـاس إني أريد الروم ..

كانت أول مرة أظهر وجهة مغزيه فهل كان ذلك لبعـد الشقة ؟ لشدة الحر ؟ لكثرة العـدو ؟ لجـدب من البلاد ؟ وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ؟ ليأخـذ الناس أهبتهم ؟ وحض النبي عليه الصلاة والسلام أهـل الغنى على النفقة والحملان في سبيل الله .

يقول عمر بن الخطاب :

— أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصــدق ، ووافق ذلك مال عندى فقلت : اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما . فجئت بنصف مالى فقال لى رسول الله صلى الله عليــه وسلم : ما أبقيت لأهــلك ؟ فقلت : مثله (نصفه) . وأتى أبو بكر بأربعة آلاف درهم . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أبقيت لأهلك شيئا ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله .. فقال عمر لأبى بكر : لا أسابقك إلى شىء أبدا .

لقــد جاء عمر بصــدقته فأظهرها وقال :

— يا رسول الله هــذه صــدقتى ولى عند الله معــاد ..

وجاء أبو بكر بصــدقته فأخفاها وقال :

— يا رسول الله هــذه صــدقتى ولله عز وجل عندى معــاد ..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

— يا عمر وترت قوسك بغير وتر . ما بين صــدقتكما كما بين كلمتيكما .

وخرج جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رجب ســنة تسع من الهجرة فعقد الألوية فدفــع لواءه الأعظم لأبى بكر الصــديق .

وكان الحر شديدا فنزل جيش المسلمين منزلا أصابهم فيه عطش حتى أن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده (على صــدره) وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشكوا إليه فلمــا رأى أبو بكر الصــديق ذلك قال للنبى عليه الصلاة والسلام :

— يا رسول الله قــد عودك الله من الدعاء خيرا فادع الله لنا ..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتحب ذلك ؟

قال أبو بكر الصديق : نعم .

وكانت السماء صافية كماء البحر .. فرفع النبى عليه الصلاة والسلام يديه ودعا ربه عز وجل فلم يرجعهما حتى أرسل الله سحابة فمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا ما يحتاجون إليه ولم تتجاوز هــذه السحابة عسكر المسلمين .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخلف على عسكره أبا بكر يصـــلى بالنـــاس •

وأقام النبى عليه الصلاة والسلام بتبوك بضع عشرة ليلة ، ولم يلق كيدا فقـــد فر جيش الروم لمـــا علم بمقـــدم رسول الله صلى الله عليه وسلم • فرجع إلى المدينة • فأقام صلى الله عليه وسلم رمضان وشوالا وذا القعـــدة ثم بعث أبا بكر أميرا على الحج سنة تسع من الهجرة ليقيم للمسلمين حجهم •

وشهد أبو بكر مـــع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فى العام العاشر من الهجرة •

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فقصها على أبى بكر الصديق :
ـ يا أبا بكر رأيت كأنى استبقت أنا وأنت درجة فسبقتك بمرقاتين ونصف •

قال أبو بكر :
ـ خيرا يا رسول الله يبقيك الله حتى ترى ما يسرك ويقر عينك •

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك ثلاث مرات وأعاد أبو بكر مثل ذلك فقال له فى الثالثة :
ـ يا أبا بكر رأيت كأنى استبقت أنا وأنت درجة فسبقتك بمرقاتين ونصف •

قال أبو بكر الصديق :
ـ يا رسول الله يقبضك الله إلى رحمته ومغفرته وأعيش بعـــدك سنتين ونصفا •

مرض رســـول الله ووفـــاته

رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع وهـــو يشتكى فلما ثقـــل المرض واستعز برسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
ـ مروا أبا بكر فليصل بالنـــاس ••

فقالت أم المؤمنين عائشة :
ـ يا نبى الله إن أبا بكر رجل رقيق ضعيف الصوت كثير البكاء إذا قرأ القرآن ••

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مروه فليصل بالناس ..

فعادت عائشة إلى قـــولها :

– يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق ضعيف الصـــوت كثير البـــكاء إذا قرأ القرآن ..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

– إنكن صواحب يوســف فمروه فليصل بالنـــاس ..

كانت عائشة تريد أن يصرف ذلك عن أبيها فقـــد عرفت أن الناس لا يحبون رجلا قام مقام النبى عليه الصلاة والسلام أبدا وأنهم سيتشاءمون به فى كل حـــدث كان .

وكان أبو بكر غائبا فقال عبد الله بن زمعـــة بن الأسود :

– قم يا عمر فصـــل بالنـــاس .

فقام ابن الخطاب .. وكبر فلمـــا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت عمر وكان رجلا مجهرا (الجهارة هى ارتفاع الصوت) فقال النبى عليه الصـــلاة والسـلام :

– فأين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون . يأبى الله ذلك والمسلمون .

فبعث الناس إلى أبى بكر فجاء بعد أن صلى عمر بن الخطاب تلك الصلاة فصلى بالناس .. فقال عمر لعبد الله بن زمعـــة :

– ويحك ماذا صنعت بى يا ابن زمعـــة . والله ما ظننت حين أمرتنى إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بذلك ولولا ذلك ما صليت بالناس ..

فقال عبد الله بن زمعـــة :

– والله ما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، ولكنى حين لم أر أبا بكر رأيتك أحـــق من حضر بالصلاة بالناس .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين (اليوم الذى قبض فيه) والناس يصلون الصبح فكاد المسلمون يفتتنون فى صلاتهم برسول الله

صلى الله عليه وسلم حين رأوه فرحا به وتفرجوا فأشار إليهم أن اثبتوا على صلاتكم • وتبسم النبى عليه الصلاة والسلام لما رأى من هيئتهم فى صلاتهم وأبو بكر يؤمهم • ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف الناس •• ثم رجع أبو بكر إلى أهله بالسنح (موضع كان لأبى بكر فيه مال وكان ينزل بأهـــله) •

وانتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى •• فقــام عمر بن الخطاب فقال :

— إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قــد توف وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فقــد غاب عن قـــومه أربعين ليلة ثم رجـــع إليهم بعـــد أن قيل : قــد مات ، والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات •

وأقبل أبو بكر — حين بلغه الخبر — وعمر بن الخطاب يكلم الناس لم يلتفت إلى شىء حتى دخل على النبى عليه الصلاة والسلام فى بيت عائشة ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى (مغطى الوجه) فى ناحية البيت عليه بردة حبرة (ضرب من ثياب اليمن) فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل عليه فقبله •• ثم قال :

— بأبى أنت وأمى طبت حيا وميتا ، أما الموتة التى كتب الله عليك فقد ذقتها ثم لن تصيبك بعـــدها موتة أبدا •

ثم رد البرد على وجه النبى عليه الصلاة والسلام وخرج وابن الخطاب ما زال يكلم الناس فقال أبو بكر :

— على رســـلك يا عمر •• أنصت ••

فأبى عمر بن الخطاب إلا أن يتكلم • فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبـــل على الناس • فلمـــا سمع الناس كلام أبى بكر أقبلوا عليه وتركوا عمر بن الخطـــــــاب •

حمد أبو بكر الله وأثنى عليه ثم قال :

ــ أيها الناس إنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قــد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت **(وما محمد إلا رسول قــد خلت من قبــله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقــابكم ومن ينقلب على عقبيــه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين) .**

(الآية ١٤٤ سورة آل عمران)

فبهت الناس وكأنهم لم يعلموا أن هــذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر ودهش عمر ووقع إلى الأرض ما تحمله قــدماه ، وعرف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قــد مات . وبكى الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومد عمر بن الخطاب يده إلى أبى بكر وقال له :

ــ امدد يدك لأبايعــك .

فقال أبو بكر :

ــ امدد يدك أنت يا عمر .

فقال الفــاروق :

ــ ولكنــك أفضــل منى .

قال الصــديق :

ــ يا عمر إن الخلافة فى حاجــة إلى قــوة .

ولكن عمر بن الخطاب مد يده وقال للصديق :

ــ ولتكن قــوتى خادمة لفضــلك .

الخليفــة الاول ــ العزيمــة الكبرى

إجتمع الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة وطلب ســعد بن عبــادة منهم أن يبايعوه خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابوه جميعا ، فانطلق عويم ابن ساعدة الأنصارى ومعن بن عــدى مسرعين إلى أبى بكر ثم ذهبــا إلى عمر بن الخطاب وقالا :

ــ هاتيك الأنصار قــد اجتمعت فى ظلة بنى ساعدة يبايعون سعد بن عبادة .

فخاف ابن الخطاب منوقــوع فتنة الإمارة فانطلق إلى أبى بكر الصديق فوجــده فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجا مسرعين إلى سقيفة

بنى ساعدة فلقيهم أبو عبيدة بن الجراح فتماشوا ثلاثتهم إلى ظلة بنى ساعدة فإذا بالأنصار يدورون حول سعد بن عبادة ويقولون :

ـ أنت المرجى ونجلك المرجى (قيس بن سعد بن عبادة) •

فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه وقال :

ـ إن الله بعث محمدا رسولا إلى خلقه وشهيدا على أمته ليعبدوا الله ويوحدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتى ، ويزعمون أنها لهم عنده شافعة ، ولهم نافعة وإنما هى من حجر منحوت وخشب منجور • ثم قرأ (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) • وقالوا (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والإيمان به والمواساة له والصبر معه على شدة أذى قومهم لهم وتكذيبهم إياهم ، وكل الناس مخالف زار عليهم ، فلم يستوحشوا لقلة عددهم وشنف الناس لهم وإجماعهم عليهم ، فهم أول من عبد الله فى الأرض وآمن بالله وبالرسول ، وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم • وأنتم معشر الأنصار من لا ينكر فضلهم فى الدين ، ولا سابقتهم العظيمة فى الإسلام ، رضيكم الله أنصارا لدينه ورسوله ؛ وجعل إليكم هجرته ، وفيكم جلة أزواجه وأصحابه ، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم ، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء ، لا تفتاتون بمشورة ولا تقضى دونكم الأمور •

فقام الحباب بن المنذر فقال :

ـ يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر . فإن أبوا عليكم ما سألتموه فاجلوهم عن هذه البلاد ، وتولوا عليهم هذه الأمور ، فأنتم والله أحق بهذا الأمر ، فإنه بأسيافكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين ؛ أنا جذيلها (الجذل عود ينصب للإبل الجربى تحتك به فتستشفى) المحكك (الذى كثر به الاحتكاك حتى صار مملسا) وعذيقها (العذق النخلة) المرجب (إنى ذو رأى يشفى بالاستضاءة به كثيرا فى مثل هذه الحادثة وأنا كثير التجارب والعلم بموارد الأحوال كالنخلة الكثيرة الحمل) •

فقال عمر بن الخطاب : إذن يقتلك الله •
فقال الحباب بن المنذر : بل إياك يقتل •
فقال أبو عبيدة بن الجراح :
— يا معشر الأنصار إنكم أول من نصر وآزر فلا تكونوا أول من بدل وغير •

فقام بشير بن سعد (أبو النعمان بن بشير) وكان خزرجيا مثل سعد بن عبـادة فقـال :

— يا معشر الأنصار إنا والله لئن كنا أولى فضيلة فى جهاد المشركين وسابقة فى هـذا الدين ما أردنا به إلا رضا ربنا وطاعة نبينا ، والكدح لأنفسنا ، فما ينبغى لنا أن نستطيل على الناس بذلك ، ولا نبتغى به من الدنيا عرضا ، فإن الله ولى المنة علينا بذلك ألا إن محمداً صلى الله عليه وسلم من قريش وقـومه أحق به وأولى ، وأيم الله لا يرانى الله أنازعهم هـذا الأمر أبدا فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم •

فقال أبو بكر وكان حريصا على توحيد الكلمة :
— هـذا عمر ، وهـذا أبو عبيدة ، فأيهما شئتم فبايعوا ؟

فقال عمر بن الخطاب :
— والله لأن أقدم فأنحر كما ينحر البعير أحب إلى من أن أتقدم على أبى بكر ••

وقال أبو عبيدة بن الجراح :
— لا والله ولا نتولى هـذا الأمر عليك : فإنك أفضل المهاجرين ، وثانى اثنين إذ هما فى الغار ، وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصلاة ، والصلاة أفضل دين المسلمين ؛ فمن ذا ينبغى له أن يتقـدمك أو يتولى هـذا الأمر عليك ؟ أبسط يدك نبايعك •

وقال عمر بن الخطاب :

— أيكم يطيب نفسا أن يتقـدم قـدمين قـدمهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ رضيك رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا أفلا نرضاك لدنيانا ؟

كان الناس يعرفون فضل أبى بكر ، وكان أحب إليهم من ضياء العيون فأقبلوا بوجوههم عليه وارتفع نداؤهم من كل جانب :

ـ لا نريد ســـواك يا أبا بكر ••

ـ أنت لهـــا ••

وبسط أبو بكر يده فبايعه عمر بن الخطاب ثم أبو عبيدة بن الجراح وخف إليه بشير بن سعد فبايعه وأسيد بن حضير زعيم الأوس •• فبايع النـــاس أبا بكر الصـــديق •

وقيل لأبى قحافة (أبو أبى بكر) : قـــد ولى ابنك الخلافة •

فقرأ أبو قحافـــة :

ـ **(قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء)** ••

ثم تساءل : لم ولـــوه ؟

قيـــل لـــه : لسنه •

قال أبو قحافـــة : أنا أسن منـــه •

دخل أبو بكر وعمر ومعهما نفر من المهاجرين والأنصار على النبى عليـــه الصلاة والسلام بقـــدر ما يسع البيت فقالوا :

ـ السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ••

ثم صفوا صفوفا لا يؤمهم أحـــد وكان أبو بكر فى الصف الأول فقال :

ـ اللهم إنا نشهد أنه صلى الله عليه وسلم قـــد بلغ ما أنزل إليه ••

فقالـــوا : آمـــين •

فقال أبو بكر : ونصـــح لأمتـــه •

فقالـــوا : آمـــين •

قال أبو بكر : وجاهد فى سبيلك حتى أعز الله دينه وتمت كلمته •

فقالـــوا : آمـــين •

فقال أبو بكر الصديق :

ـ فاجعلنا إلهنا ممن اتبـــع القول الذى أنزل معه ، واجمع بيننا وبينه حتى تعرفه بنا وتعرفنا به فإنه كان بالمؤمنين رءوفا رحيما ، لا نبتغى بالإيمان به بدلا ولا نشترى به ثمنا أبدا •

قالـــوا : آمـــين •

واختلفوا فى الموضع الذى يدفن فيه النبى عليه الصلاة والسلام فقال قائل :

ــ يدفــن فى البقيــع ••

وقال آخر : ينقل ويدفن عند إبراهيم الخليل ••

فقال أبو بكر الصــديق :

ــ إنعندى فى هــذا خبرا سمعت رسول الله صلى الله عيله وسلم يقول : لا يدفن نبى إلا حيث قبض •

وجاء أبو طلحة فرفع فراش النبى عليه الصلاة والسلام الذى توفى فيــه فحفر ، ودفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اللحــد .

وجلس أبو بكر على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عمر فتكلم قبل أبى بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله •• ثم قال :

ــ أيها الناس إنى قــد قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت إلا عن رأيى ، وما وجــدتها فى كتاب الله ، ولا كانت عهدا عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنى قــد كنت أرى أن رسول الله سيدبر أمرنا حتى يكون آخرنا ، وأن الله قــد أبقى فيكم كتابه الذى هــدى به رسول الله فإن اعتصمتم به هــداكم الله لمــا كان هــداه له وإن الله قــد جمع أمركم على خيركم ، صاحب رسول الله وثانى اثنين إذ هما فى الغار •• فقوموا فبايعــــوه •

فبايع الناس أبا بكر بيعــة العامة بعــد بيعــة السقيفة •

ثم تكلم أبو بكر فقال بعــد أن حمد الله وأثنى عليه :

ــ أيها الناس ، إن الله الجليل الكريم ، العليم الحكيم ، الرحيم الحليم ، بعث محمدا بالحق ، وأنتم معشر العرب كما قــد علمتم من الضلالة والفرقة ، ألف بين قلوبكم ، ونصركم به وأيدكم . ومكن لكم دينكم وأورثكم سيرته الرشيدة المهــدية ، فعليكم بحسن الهــدى ولزوم الطاعة • وقد استخلف الله عليكم خليفة ليجمع به ألفتكم ، ويقيم به كلمتكم ، فأعينونى على ذلك بخير ولم أكن لأبسط يدا ولا لسانا على من لم يستطل ذلك إن شاء الله وأيم الله ما حرصت عليها ليلا ولا نهارا ، ولا سألتها قط فى سر ولا علانية ،

ولقد قلدت أمرا عظيما مالى به طاقة ولا يد ، ولوددت أنى وجدت أقوى الناس عليه مكانى فأطيعونى ما أطعت الله فإذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم .

وكان أول من ولى شيئا من أمور المؤمنين عمر بن الخطاب ولاه أبو بكر القضاء فكان أول قاض فى الاسلام وقال له خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

– اقض بين الناس فإنى فى شغل .

وأمر الخليفة الأول عبد الله بن مسعود بعس المدينة .

ولما ذاع موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبويع لأبى بكر بالخلافة ظهر النفاق وقويت نفوس أهل النصرانية واليهودية ،وصار المسلمون كالغنم الشاردة فى الليلة المطيرة ، وارتدت بعض القبائل عن الإسلام فمسيلمة الكذاب قد دانت له اليمامة ، وطليحة العنسى قد غلظ أمره و .. وجاء رجال من عبس وذبيان وكلموا الخليفة الأول فى أن يقيموا الصلاة وألا يؤتوا الزكاة ، فراح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتشاورون فى الأمر ، وهنا ظهرت العزيمة الكبرى ، والقوة والتصميم . فقال أبو بكر فى حزم :

– والله لو منعونى عناقا (عنزا) كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه .

وكان رجال من الصحابة ومعهم عمر بن الخطاب يرون موادعة القوم فأسامة بن زيد وجلة الأنصار والمهاجرين قد انطلقوا إلى الشام لحرب الروم .

قال عمر بن الخطاب :

– كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فمن قالها عصم منى ماله ودمه إلا بحقها وحسابهم على الله .

فقال أبو بكر فى شدة :

– أجبار فى الجاهلية خوار فى الإسلام ؟ والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال وقد قال : إلا بحقها .

أبو بكر الصديق الرجل الهاذىء الرقيق ينقلب إلى صواعق وشهب تحرق وتمحق المرتدين ومانعى الزكاة ؟

وعمر الرجل القـوى يريد الموادعة ؟؟

ولكن الفاروق المؤمن ما لبث إلا أن رأى أن الله قـد شرح صـدر الخليفة الأول للقتال فعرف أنه الحق .

وعاد جيش أسامة بن زيد إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستخلفه أبو بكر عليها وقال له ولجنده :

— أريحوا وأريحوا ظهوركم (رواحلكم) .

ثم خرج أبو بكر فى رجال من المسلمين إلى ذى القصة لقتال أسد وغطفان ومانعى الزكاة فقيل له :

— ننشدك الله يا خليفة رسول الله أن تعرض نفسك فإنك إن تصب لم يكن للناس نظام ، ومقامك أشـد على العـدو فابعث رجلا فان أصيب أمرت آخـر ..

فقال أبو بكر الصديق : لا والله ولأواسينكم بنفسى .

وعقـد خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحـد عشر لواء وأوصى الأمراء وكتب إلى من بعث إليه من جميع المرتدين كتابا .. (نسخة واحـدة يأمرهم فيه أن يرجعوا إلى الإسلام ويحـذرهم ، وسير الكتب إليهم مـع رسله) وخرج الخليفة الأول مـع الجيش شاهرا سيفه فأخـذ على بن أبى طالب بزمام راحلته وقال له :

— إلى أين يا خليفة رسول الله ؟ أقول لك كما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحـد : شم سيفك وارجع مكانك .. لا تفجعنا بنفسك ، وارجع إلى المدينة فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدا .

وهزم الله المرتدين فقتل مسيلمة الكذاب والأسود العنسى و .. وعادت القبائل التى بخلت بأموالها على الإسلام صاغرة وخمدت نيران الفتنة .

وكان على خاتم أبى بكر الصديق .. نعم القادر الله .

وقيل للخليفة الأول : يا خليفة رسول الله ألا تستعمل أهل بدر ؟

فقال أبو بكر الصديق : إنى أرى مكانهم ولكنى أكره أن أدنسهم بالدنيا .

كان أبو بكر ربانيا فى كل مشاعره وسلوكه وعلاقته بالناس ، فقد قام يوم جمعة وقال :

— إذا كان بالغداة فأحضروا صدقات الإبل تقسم ولا يدخل علينا أحد إلا باذن ..

فلما سمع الناس ذلك قالت امرأة لزوجها :

— خذ هذا الخطام لعل الله يرزقنا جملا ..

فأتى الرجل فوجد أبا بكر وعمر قد دخلا إلى الإبل فدخل معهما فالتفت أبو بكر فرأى الرجل فسأله :

— ما أدخلك علينا ؟

ثم أخذ منه الخطام فضربه فلما فرغ أبو بكر من قسم الإبل دعا بالرجل فأعطاه الخطام وقال له :

— استقد (اقتص منى) .

فقال عمر بن الخطاب : والله لا يستقيد . لا تجعلها سنة ..

فقال أبو بكر : فمن لى من الله يوم القيامة ؟

فقال عمر بن الخطاب : أرضه .

فأمر الخليفة الاول غلامه أن يأتيه براحلة ورحلها قطيفة (كساء له خمل) وخمسة دنانير فأرضاه بها .

وكان عمر بن الخطاب يتعاهد عجوزا كبيرة عمياء فى حواشى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فيستسقى لها ويقوم بأمرها ، وكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت فجاءها غير مرة فلا يسبق إليها إلا من هذا الإنسان .. فمن يكون هذا الإنسان ؟ فرصده عمر فإذا هو ابو بكر الصديق كان يأتيها وهو خليفة فقال له عمر :

— أنت لعمرى ..

وجلس عمر بن الخطاب فى مجلس القضاء عاما كاملا فى انتظار شـــاك أو مظلوم يقول له :

ــ فــلان ظلمنى أو ضربنى او أكل مالى •

ولكن أحـــدا لم يأت إليه •• فانطلق إلى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب منه إعفاءه من القضاء فقال الخليفة الأول :

ــ أمن مشقة القضاء جئت تطلب الإعفاء يا عمر ؟

فقال الفــاروق :

ــ لا يا خليفة رسول الله ولكن لا حاجة بى عند قوم مؤمنين عرف كل منهم ماله من حق فلم يطلب أكثر منه وما عليه من واجب فلم يقصر فى أدائه ، أحب كل منهم لأخيه ما يحب لنفسه ، إذا غاب أحـــدهم تفقدوه وإذا مرض عادوه وإذا افتقر أعانوه ، وإذا احتاج ساعدوه وإذا أصيب واسوه ، دينهم النصيحة وخلقهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر •• ففيم يختصمون يا خليفة رسول الله ؟

كان يعلم علم اليقين أن من تمام توقير الله عز وجل توقير عباد هـــذا الرب العلى الحكيم •

ولمـــا أراد أبو بكر الصديق غزو الروم دعا على بن أبى طالب وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وسعيد ابن زيد وأبا عبيدة بن الجراح ووجـــوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر فقال الخليفـــة الأول :

ــ إن الله عز وجل لا تحصى نعماؤه ، ولا تبلغ جزاءها الأعمال ، فله الحمد : قـــد جمع الله كلمتكم وأصلح ذات بينكم وهـــداكم إلى الإسلام ، ونفى عنكم الشيطان ، فليس يطمع أن تشركوا به ولا تتخـــذوا إلها غيره فالعرب اليوم بعز أم وأب ، وقـــد رأيت أن أستنفر المسلمين إلى جهاد الروم بالشام ليؤيد الله المسلمين ويجعل الله كلمته العليا مع أن للمسلمين فى ذلك الحظ الأوفر ، لأنه من هلك منهم هلك شهيدا ، وما عند الله خير للأبرار • ومن عاش مدافعا عن الدين مستوجبا على الله ثواب المجاهـــدين وهـــذا رأيى الذى رأيته فليشر امرؤ على برأيه •

فقام عمر بن الخطاب فقال :

ــ الحمد لله الذى يخص بالخير من شاء من خلقه والله ما استبقنا إلى شىء من الخير قط إلا سبقتنا إليه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . قــد والله أردت لقاءك بهــذا الرأى الذى رأيت فمــا قضى أن يكون حتى ذكرته فقــد أصبت أصاب الله بك سبيل الرشــاد ، سَرِّبْ (أرسل قطعة قطعة) إليهم الخيل فى إثر الخيل ، وابعث الرجال بعــد الرجال ، والجنود تتبعها الجنود ، فإن الله ناصر دينه ومعز الإسلام وأهــــله .

فقام عبد الرحمن بن عــوف فقال :

ــ يا خليفة رسول الله إنها الروم وبنو الأصفر ، حــد حــديد ، وركــن شديد ، ما أرى أن نقتحم عليهم اقتحاما ، ولكن نبعث الخيل فتغير فى قواصى (قاصية : بعيدة) أرضهم ، ثم ترجع إليك وإذا فعلوا ذلك بهم مرارا أضروا بهم وغنموا من أدانى أرضهم فقعدوا بذلك عن عــدوهم ، ثم تبعث إلى أراضى اليمن وأقاصى ربيعة ومضر ثم تجمعهم جميعا إليك ثم إن شئت بعــد ذلك غزوتهم بنفسك وإن شئت أغزيتهم .

ثم سكت وسكت الناس فتساءل أبو بكر :

ــ ما ترون ؟

فقال عثمان بن عفان :

ــ إنى أرى أنك ناصح لأهل هــذا الدين شفيق عليهم ، فإذا رأيت رأيا تراه لعامتهم صلاحا فاعزم على إمضائه فانك غير ظنين (ضنين) .

فقال طلحة بن عبد الله وسعد بن أبى وقاص والزبير بن العوام وأبو عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد ومن حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار :

ــ صدق عثمان ما رأيت من رأىَ فأمضه فإنا لا نخالفك ولا نتهمك .

ولم يتكلم على بن أبى طالب فسأله الخليفة الأول :

ــ ماذا ترى يا أبا الحسن ؟

فقال على بن أبى طالب :

— أرى أنك إن سرت إليهم بنفسك أو بعثت إليهم نصرت عليهم إن شاء الله ..

فقال أبو بكر فى فرح :

— بشرك الله بخير ومن أين علمت ذلك ؟

قال على بن أبى طالب :

— سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يزال هـذا الدين ظاهرا (غالبا) على كل ما ناوأه (خالفه وعانده) حتى يقوم الدين وأهله ظاهرون .

فقال خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

— سبحان الله ما أحسن هـذا الحـديث لقـد سررتنى به سرك الله .

ثم قام أبو بكر فى الناس فذكر الله بما هو أهله وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال :

— أيها الناس إن الله قـد أنعم عليكم بالإسلام وأكرمكم بالجهاد وفضلكم بهذا الدين على كل دين فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام فإنى مؤمر عليكم أمراء وعاقـد لكم ألوية فأطيعوا ربكم ولا تخالفوا أمراءكم لتحسن نيتكم وأشربتكم وأطعمتكم فإن الله مـع الذين اتقـوا والذين هم محسـنون .

قال أبو بكر يوما :

يا أيها الناس انكم تقرأون هـذه الآية : **(يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضـل إذا اهتديتم)** وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخـذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده — وفى رواية إن القوم إذا رأوا المنكر فلم يغيروه عمهم الله بعقاب .

ثم أردف الخليفة الأول :

— سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعواد المنبر يقول : اتقـوا النار ولـو بشق تمرة ، فإنها تقيم العـوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجائع موقعها من الشبعان .

ثم قال الصـديق :

– قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقـوم فيتطهر ثم يصلى ثم يستغفر الله إلا غفر له ثم قرأ هـذه الآية :

(والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون * أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيهـا ونعم أجر العاملين) ..

(الآية ١٣٥ ، ١٣٦ سورة آل عمران)

ولـما سير أبو بكر الجيوش إلى الشام منع المرتدين من المشاركة أو المساهمة فى حرب الروم والفرس فهل أراد أن يمهلهم حتى يتذوقوا حلاوة الإيمان من جـديد ؟ أو أراد أن يعرفهم بأن الدعوة الإسلامية ماضية إلى وجهتها سواء بهم أو بغيرهم من المسلمين ؟

وكان أبو بكر يجلس مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم ذات يوم :

– ما تقولون فى هاتين الآيتين : **(إن الذين قالوا ربنـا الله ثم استقاموا)** و **(الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم)** ؟

قالوا : قالوا ربنـا الله ثم استقاموا فلم يذنبـوا ولم يلبسوا إيمـانهم بظلم : خطيئـة ..

فقال الخليفة الأول : لقـد حملتموها على غير المحمل ..

فقالوا : ما ترى يا أبا بكر ؟

قال خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

– قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا إلى إله غيره ولم يلبسوا إيمانهم بشرك .

ودخل عمر بن الخطاب على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده يجبذ لسانه فقال له عمر : مه ؟ غفر الله لك .

فقال أبو بكر : إن هـذا أوردنى الموارد ..

كان أبو بكر على الرغم من أنه أول من بشر بالجنة فقـد كان لا يأمن مكر الله حتى لو كانت احـدى قـدميه فى الجنة .

أبو بكر يتنـاول السم

وكان أبو بكر الصديق والحارث بن كلدة يأكلان خزيرة (لحم يقطع قطعا صغيرة ويصب عليه ماء حتى إذا نضج ذر عليه دقيق) أهـديت لأبى بكر فقال الحارث بن كلـدة :

ــ ارفع يدك يا خليفة رسول الله ، والله إن فيها لسم سنة ، وأنا وأنت نموت فى يوم واحـد .

فرفع الخليفة الأول يده .. فلم يزالا عليلين ..

وذات ليلة استشعر أبو بكر الألم فلزم الفراش فجلس حوله امرأته أسماء بنت عميس وابنتاه أسماء وعائشة وابنه عبد الرحمن فقالوا :

ــ ألا ندعـو لك الطبيب ؟

فقال أبو بكر : قـد رآنى ..

فنظر عبد الرحمن إلى أخته أسماء وكأنه يسألها متى جاء ؟ من بعث إليه ؟ أسماء بنت عميس ؟ عائشة ؟ ثم قالوا :

فأى شىء قال لك ؟

قال خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال إنى فعال لما أريد .. وكان أبو بكر الصـديق يقول :

ــ والله لوددت أنى كنت شـجرة إلى جنب الطريق فمر على بعير فأخـذنى فأدخلنى فاه فلاكنى ثم ازدردنى ثم أخرجنى بعرا ولم أكن بشرا ..

صـفته

نظرت أم المؤمنين عائشة إلى رجل من العرب مارا وهى فى هودجها فقالت :

ــ ما رأيت رجلا أشبه بأبى بكر من هـذا ..

فقال شعيب بن طلحة : صفى لنـــا أبا بكر ..

فقالت عائشة بنت أبى بكر :

– رجل أبيض نحيف خفيف العارضين ، أجنأ لا يستمسك إزاره ، يسترخى عن حقويه ، معروق الوجه ، غائر العينين ناتىء الجبهة عارى الأشاجع .

فضـــله

صحب أبو بكر الصديق النبى عليه الصلاة والسلام من حين أسلم إلى حين توفى لم يفارقه سفرا ولا حضرا إلا فيما أذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أول من أظهر إسلامه وكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله وبذل ماله فى سبيل الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

– ما نفعنى مال قط ما نفعنى مال أبى بكر ..

فبكى أبو بكر وقال : هل أنا ومالى إلا لك يا رسول الله ؟

فقـــد كان النبى عليه الصلاة والسلام يقضى فى مال أبى بكر كما يقضى فى مال نفسه ، وقال النبى عليه الصلاة والسلام :

– ما أحـــد عندى أعظم يدا من أبى بكر : واسانى بنفسه وماله وأنكحنى ابنته .

وكان أبو بكر شجاعا فقـــد سأل على بن أبى طالب بعض أصحابه :

– أخبرونى من أشـــجع النـــاس ؟

قالـــوا : أنت .

قال على :

– أما أنى ما بارزت أحدا إلا انتصفت منه ولكن أخبرونى بأشجع الناس ؟

قالـــوا : لا نعلم . فمن ؟

قال على بن أبى طالب :

– أبو بكر . إنه يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا فقلنا : من يكون مـــع رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يهوى إليه أحـــد من المشركين فوالله مادنا منه أحـــد الا أبو بكر شاهرا بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهوى إليه أحـــد إلا هوى إليه فهو أشـــجع النـــاس .

وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال :

— إن الله تبارك وتعالى خيّر عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله تعالى .

فبكى أبو بكر الصديق وقال : نفـديك بآبائنا وأمهاتنا ..

فعجب الناس لبكاء الصديق أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خير فكان النبى عليه الصلاة والسلام هـو المخير وكان أبو بكر أعلمهم .

وكان أبو بكر إذا ورد عليه الخصم نظر فى كتاب الله فإن وجـد فيه ما يقضى به بينهم قضى به وإن لم يكن فى الكتاب وعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك الأمر سنة قضى بها فإن أعياه خرج فسأل المسلمين وقال :

— أتانى كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى فى ذلك بقضـاء ؟

فربما اجتمع إليه النفر كلهم يذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه قضاء فيقول الصديق :

— الحمد لله الذى جعل فينا من يحفظ عن نبينا .

فإن أعياه أن يجـد فيه سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع رءوس الناس وخيارهم فاستشارهم فإن أجمع أمرهم على رأى قضى به .

وكان أبو بكر وعلى بن أبى طالب من أفصح خطباء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما أراد النبى عليه الصلاة والسلام أن يبعث معاذ بن جبل إلى اليمن استشار ناسا من أصحابه فيهم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وأسيد بن حضير فتكلم القوم كل إنسان برأيه فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

— ما ترى يا معاذ ؟

قال معـاذ بن جبـل : أرى ما قال أبو بكر ..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

— إن الله يكره فى السماء أن يخطـأ أبو بكر الصديق فى الأرض .

وكان أبو بكر أفضل الصحابة بعـــد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عمر ثم عثمان ثم على ثم سائر العشرة ثم باقى أهل أحـــد ثم باقى أهل البيعة (الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان تحت الشجرة يوم صلح الحـــديبية) ثم باقى الصحابة .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

— إن روح القـــدس جبريل خبرنى أن خير أمتك بعـــدك أبو بكر ...

وقال النبى عليه الصلاة والسلام لأبى بكر وعمر :

— هـــذان سيدا كهول (الكهل هـــو الرجل الذى وخطه الشيب) أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين .

وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعره يوما :

— هـــل قلت فى أبى بكر شـــيئا ؟

قال حسان بن ثابت : نعم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قـــل وأنا أسمع ..

قال شاعر النبى عليه الصلاة والسلام :

وثانى اثنين فى الغار المنيف وقد طاف العدو به إذ صعّد الجبلا
وكان حب رسول الله قـــد علموا من البرية لم يعـــدل به رجلا

فضحك النبى عليه الصلاة والسلام حتى بدت نواجـــذه (أقصى الأضراس فى الفم) فقـــد سره أن يسمع ذلك وقال لحسان بن ثابت :

— صدقت يا حسان هـــو (أبو بكر) كما قلت .

وقـــد نزل من الآيات فى مدح أبى بكر أو تصديقه ، من فوق سبع سماوات تتلى إلى يوم يبعثون كقوله تعالى : **(ثانى اثنين إذ هما فى الغار اذ يقـــول لصاحبه : لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه)** فإن الصاحب المذكور أبو بكر : **(والليل إذا يغشى * والنهار إذا تجلى * وما خلق الذكر والأنثى * إن سعيكم لشتى * فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى)** فقد كان أبو بكر يعتق على الإسلام بمكة فقد كان يشترى ويعتق عجائز ونساء

إذا أسلمن • وقوله تعالى : (ولمن خاف مقام ربه جنتان) و (ونزعنا ما فى صــدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين) و (ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى انعمت علىّ وعلى والدىّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى إنى تبت إليك وإنى من المســـلمين) •

(الآية ١٥ سورة الأحقاف)

وقــد وردت أحاديث فى فضل الصديق والفاروق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

— إن أهــل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع فى أفق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم •

يقول عبد الله بن عمر :

— خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فدخل المسجد وأبو بكر وعمر أحــدهما عن يمينه والآخر عن شماله وهو آخــذ بأيديهما وقال : هكذا نبعث يوم القيامة •

ثم قال ابن عمر :

— قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمر •

وقال عبد الله بن مسعود :

— قال النبى عليه الصلاة والسلام : إن لكل نبى خاصة من أمته وإن خاصتى من أصحابى أبو بكر وعمر •

وفــــاته

اشتكى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ثقــل المرض جاءته ابنته أم المؤمنين عائشة فلمــا رأت أباها قــد حضرته الوفاة فتمثلت :

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فنظر الصديق إليها كالغضبان وقال معاتبا :

— ليس كذلك ولكن (جاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) •• ولمــا استشعر أبو بكر دنو أجله أراد أن يعين خليفة من بعــده حتى

يجنب المسلمين ما عساه أن يحــدث من فتنة واضطراب ، وكان عزمه معقودا على استخلاف ابن الخطاب فجعله يصلى بالناس ثم بعث أبو بكر ليستشير كبار الصحابة : عبد الرحمن بن عوف وعثمان وغيرهم • فأجمعوا على عمر بن الخطاب •• فكتب عهده باستخلافه •

ولمــا حضرت خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاة قال لمن حــــوله :

ــ إذ أنا مت وفرغتم من جهازى فاحملونى حتى تقفوا بباب البيت الذى فيه قبر النبى عليه الصلاة والسلام فقفوا بالباب وقولوا : السلام عليــك يا رسول الله هــذا أبو بكر يستأذن فإن أذن لكم بأن فتح الباب ــ وكان الباب مغلقا بقفل ــ فأدخلونى وادفنونى وإن لم يفتح الباب فاخرجونى إلى البقيع وادفنونى به •

وقال أبو بكر لابنته عائشة :

ــ إنا ولينا أمر المسلمين فلم نأخــذ لنا دينارا ولادرهما ، ولكنا أكلنا من جريش طعامهم فى بطوننا ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا وإنه لم يبق من فىء ــ خراج وغنيمة ــ المسلمين قليل ولا كثير إلا هــذا العبد الحبشى وهــدا البعير الناضح ــ الذى يحمل المــاء ــ وجرد هــذه القطيفــة فإذا مت فابعثى بهن إلى عمر •

وكان آخر ما تكلم به الخليفة الأول :

ــ توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين •

ولمــا أرادوا دفن الصديق ذهبوا إلى البيت الذى فيه قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا :

ــ السلام عليك يا رسول الله هــذا أبو بكر يستأذن ••

فسقط القفل وانفتح الباب وسمع هاتف من داخل البيت يقول :

ــ أدخلوا الحبيب إلى فإن الحبيب إلى الحبيب مشتاق •

ودفن فى بيت ابنته عائشة ، وجعل رأسه عند كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم • وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال وكانت وفاته لثمانى ليال بقين من جمادى الآخرة ســــنة ثلاث عشرة من الهجرة وهــو ابن ثلاث وســتين ســـنه •